

الطيران وأمم الطير في ضوء

القرآن الكريم

دراسة موضوعية

الدكتور / فهد بن علي العندس

مدير وحدة الدراسات الإسلامية والإنسانية

كلية الملك فيصل الجوية

المقدمة :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . أما بعد:

فلا يزال الشعور بأهمية سلاح الجو في حسم الصراعات الدولية يتنامى مع الأيام حتى جاءت الحرب اليوغسلافية الأخيرة لتثبت هذا الأمر إثباتاً واضحاً جلياً للعيان ، وتؤكد أن الحرب في مستقبل الأيام حرب جوية . فقد شن الحلفاء حملتهم على يوغسلافيا لأيام طويلة أجبروا خلالها بلغراد على الرضوخ لمطالبهم دون أن يتكبدوا أية خسائر تذكر .

فسلاح الطيران سلاح له تأثيره في الحرب والسلام مما يجعل هذا السلاح في أول قائمة اهتمامات الملوك والرؤساء والقادة .

هذه الحقيقة — دون تمحل أو مبالغة — تظهر واضحة جلية في القرآن الكريم من خلال حديثه عن الطير ، صفاتها ومهامها والأدوار التي قامت بها . وما ذلك إلا لأن الطير هي الأمة المعنية بالطيران ، وهي أمة يحكمها نظام دقيق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ^(١) .

ولقد مثل ذلك دافعاً قوياً حفزني على استقصاء وجمع الآيات المخبرة عن الطير في كتاب الله ثم الوقوف معها لتحليلتها وتحليلها واستنباط المراد منها ، وتحديد الفوائد المستفادة من إشارات القرآن وخطابه حول أهمية هذه الأمة الطائرة ونظامها وقوانينها ، وذلك في بحث علمي يستهدف الكشف عن دور هذه الأمة ومكانتها ومدى الاستفادة منها في منظومة القتال الحديثة بشكل عام

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .

وفي القتال الجوي بشكل خاص ، حيث تمتاز هذه الأمة بإمكانات وطاقات وقدرات تفوق غيرها من المخلوقات ، لأن واحداً من أحقر أفرادها وهو الذباب يتمتع بسلطة قوية في الهجوم والقنص والإفلات بغنايمه إلى جانب الإعجاز التركيبي في خلقه كما يقول تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ^(١) قال ابن كثير : " أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها " ^(٢) .

وتتدرج المكانة التي يتبوأها الطير - كما يفهم من القرآن - بدءاً من طبيعة الخلق ومروراً بالمهمات الدقيقة التي تضطلع بها وانتهاءً بكونها دعامة قوية للملك نبين من أنبياء الله هما: داود وسليمان عليهما السلام .

ومن دلائل قدرة الطير وإمكاناتها تشريف الله عز وجل لها باختيارها لأجل مهمة في تاريخ الدين والعقيدة وهي مهمة الدفاع عن بيت الله الحرام رمز العبادة وقبلة المصلين الذي يطوف المصلون حوله في الأرض كما تطوف ملائكة البيت المعمور في السماء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ

(١) سورة الحج : ٧٣ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٥ .

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴿١﴾ .

وهذا يؤكد الأهمية التي تحتلها هذه الأمة العظيمة في قدراتها وإمكاناتها والنظام
الذي يُسَيِّر حياتها ، وستبين ذلك جلياً من خلال ما كشفه الله تعالى لنا من
خير الهدهد وما أعطاه إياه من سرعة ودقة في أداء ما وُكل إليه من مهمات في
خبره مع نبي الله سليمان عليه السلام .

كل ذلك يؤكد أهمية النظر في حديث القرآن عن أمة الطير ليفيد منها
المعنيون بأمر الطيران في العصر الحديث . وهم الذين يحاكون هذه الأمة (أمة
الطير) في غالب ما يأتون ويذرون في مجال الطيران إن لم يكن في جميعه ، مما
سوف نستعين بالله تعالى على التصدي لبيانه في فصول ثلاثة .

عرض الأول منها لمعنى الطير كما ورد في القرآن .

وتتبع الثاني حديث القرآن عن أمة الطير وخصائصها الخلقية وإمكاناتها
وعلو شأنها .

أما الثالث فتصدي لبيان أهمية الطير في القرآن من دوره ووظائفه المنوطة به
وذلك في مباحث أربعة: عرض أولها لدور الطير في حماية بيت الله الحرام ،
وجلّى الثاني مكانة الطير كدعامة من دعائم ملك داود ، وكشف الثالث عن
وظائف الطير في مملكة سليمان ، وفصلّ الرابع القول في الهدهد كمثال تطبيقي
فريد لطبيعة الطير ودوره ووظيفته .

الفصل الأول :الطير في القرآن:

المبحث الأول : معنى الطير:

الطير : جمع طائر ، كراكب وركب ^(١) ، اسم جمع ، ويدل على الاجتماع والثبات، إشارة إلى أنها في شدة الاجتماع كأنها شيء واحد ، فوصف حالها يصلح للواحد .

والطائر : كل ذي جناح يسبح في الهواء ، يقال : طار يطير طيراناً .

والاستطارة والتطير : التفرق والذهاب .

يقال : تطايروا إذا أسرعوا ، ويقال : إذا تفرقوا . وخذ ما طار من شعر رأسك : أي ما انتشر حتى كأنه طار ^(٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

مُسْتَطِيرًا﴾ ^(٣) أي فاشياً منتشراً ^(٤) ، وهو مستفعل من الطيران .

والطيران : حركة ذي الجناح في الهواء بجناحيه ^(٥) . وليس المقصود أي نوع من أنواع الحركة ؛ بل هي حركة مخصوصة تتضمن التحليق والارتفاع وهذا

(١) المفردات للراغب الأصفهاني : ٣٠٩ . وقد أورد السمين الحلي فيه أربعة أقوال . انظر : الدر المصون : ٢ / ٥٧٥

(٢) المفردات : ٣١٠ .

(٣) سورة الإنسان : ٧ .

(٤) تحفة الأريب عما في القرآن من الغريب لأبي حيان : ٢٠٩ . وانظر فتح القدير للشوكاني : ٥ / ٣٤٧ .

(٥) لسان العرب لابن منظور : ٢ / ٦٣٥ .

المعنى هو ما اختاره المعجم الوسيط حيث جاء فيه ما نصه : " طار الطائر ونحوه طيراً وطيّراً : تحرّك وارتفع في الهواء بجناحيه " (١).

والمطار : موضع الطيران .

وتطير فلان واطير: أصله التشاؤم بالطير ، وقد حرمه الإسلام .

قال الجاحظ : " لا نعرف شيئاً من الحيوان أشرف من الخيل والطير لأنهم يقولون: فرس جواد وفرس كريم .

وقالوا في الطير الذوات المخالب المعقّفة والمناسر المحدّبة : أحرار، ومضرحيّات وعتاق، وكواسب، وجوارح " (٢) .

(١) المعجم الوسيط : ٥٤٧ مادة (طير) .

(٢) كتاب الحيوان : ٧ / ٤٧ . والمضرحي : الرجل السيد السريّ الكريم ، والمضرحي من الصقور : ما طال جناحاه وهو كريم ، وكبار الطير هي المضرحية وأكثر ما يستعمل ذلك في عتاق الطير وأحرارها . والمضرحي أيضاً : الأبيض من كل شيء . اللسان : مادة (مضرح) ٢ / ٥٢٤ . وانظر : الحيوان : ٧ / ٥٤ .

المبحث الثاني : كلمة (طير) في القرآن :

وردت هذه اللفظة في ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، منها ثلاث وعشرون موضعاً بمعنى الطير جمع طائر ، وذلك على النحو الآتي :

(يطير): في موضع واحد .

و (طائر): في موضع واحد .

وقد اجتمعا في آية واحدة .

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُنْمِ

أَمْثَلُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

[سورة الأنعام : ٣٨] .

(طيرا): في ثلاثة مواضع وهي على النحو الآتي :

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِغَايَةِ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي

أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ

وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ

وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

[سورة آل عمران : ٤٩] .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ

﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الفيل : ١ - ٥] .

(الطير): في خمسة عشر موضعاً ، وذلك على النحو الآتي :

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰئِكَ ثَوَمِينَ ۚ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ۖ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠] .

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ۖ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة آل عمران : ٤٩] .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ۖ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم

بِالْيَنَنْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾
[سورة المائدة : ١١٠] .

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة يوسف : ٣٦] .
وقال تعالى: ﴿ يَصْلِحْجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾
[سورة يوسف : ٤١] .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة النحل : ٧٩] .
قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾
[سورة الأنبياء : ٧٩] .

قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾
[سورة الحج : ٣١] .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَفَتْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ۖ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة النمل : ١٦] .

قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [سورة النمل : ١٧] .

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [سورة النمل : ٢٠] .

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنْهَا فَضْلًا يَسْجَالُ أَبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ ﴾ [سورة سبأ : ١٠] .

قال تعالى: ﴿ ۞ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۖ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۖ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص : ١٧ - ٢٠] .

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ

إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ [سورة الملك : ١٩] .

(طير): في موضع واحد .

قال تعالى: ﴿وَلَحِمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ [سورة الواقعة : ٢١] .

كما ورد لفظ (التطير): بمشتقاته: في ستة مواضع ، وذلك على النحو الآتي :
(تطيرنا): في موضع واحد :

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ [سورة يس : ١٨] .

(اطيرنا): في موضع واحد .

(طائرکم): في موضع واحد .

وقد اجتمعا في آية واحدة هي :

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ [سورة النمل : ٤٧] .

(يطيروا): في موضع واحد .

(طائرهم): في موضع واحد .

وقد اجتمعا في آية واحدة هي :

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة الأعراف : ١٣١].

(طائره) : في موضع واحد :

قال تعالى: ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَّيْرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الاسراء : ١٣].

كما ورد لفظ (مستطيراً) في موضع واحد ، وهو قوله تعالى :
(مستطيراً) : في موضع واحد .

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الإنسان : ٧].

المبحث الثالث : الطيران رفعة وسمو:

في الطيران تميز وخصوصية امتن الله تعالى بها على مرتادي الفضاء والأجواء من المسلمين حين علو غيرهم حسياً بأجسادهم^(١) .
يؤكد هذا التميز ما يلي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتُلَٰثَ وَرُبَعَ ۚ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾^(٣) . فافتتاح هذه الآية بـ (الحمد لله) في مقام الامتنان على الملائكة بهذا الخلق فيه دليل على أن الأجنحة والطيران للملائكة رفعة لهم وتكريم .

قال ابن كثير : " وقوله تعالى : (جاعل الملائكة رسلا) أي بينه وبين أنبيائه (أولى أجنحة) أي يطفرون بها ليلغوا ما أمروا بها سريعاً " ^(٤) . فطيرانهم ميزة لهم على غيرهم ، بل " تخصيص ذكر الملائكة من بين مخلوقات السموات والأرض لشرفهم بأنهم سكان السموات وعظيم خلقهم " ^(٥) .

(١) ومعنوياً بعقيدتهم وإيمانهم .

(٢) قال ابن كثير في هذه الآية ٣ / ٥٤٦ : " أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك " . وذهب ابن عاشور في تفسيره إلى : " أنهم ذوو أجنحة بعضها مصففة جناحين جناحين في الصف ، وبعضها ثلاثة ثلاثة ، وبعضها أربعة أربعة ، وذلك قد تعدد صفوفه فتبلغ أعداداً كثيرة فلا ينافي هذا ما ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود " أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح " . التحرير والتنوير : ٢٢ / ٢٥٠ .

(٣) فاطر : ١ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٤٦ .

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور : ٢٢ / ٢٤٩ .

ثانياً : ما امتن الله تعالى به على جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ^(١) في الجنة حيث جعل له جناحين يطير بهما حيث يشاء نظير ما أبلاه من بلاء عظيم في الجهاد . وقد سماه المسلمون : (جعفر الطيار) .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال : " السلام عليك يا ابن ذي الجناحين " ^(٢) . يشير بذلك إلى حديث عبد الله بن جعفر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هنيئاً لك ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء " ، فعوض رضي الله عنه عن قطع يديه في وقعة مؤتة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة " ^(٣) .

(١) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، أحد السابقين إلى الإسلام وأخو علي بن أبي طالب شقيقه ، أسلم بعد واحد وثلاثين رجلاً ، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكنى أبا المساكين لمحبه لهم ، هاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه وأقام جعفر عنده ، قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فقبل ما بين عينيه ، استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان ، وكان أسن من علي بعشر سنين . سنن الترمذي : ٥ / ٦٥٤ ، والطبقات الكبرى : ٤ / ٣٤ ، والتاريخ الكبير : ٢ / ١٨٥ ، وحلية الأولياء : ١ / ١١٤ ، ومستدرک الحاكم : ٣ / ٢٠٨ . والمعجم الكبير للطبراني : ٢ / ١٠٤ ، وأسد الغابة : ١ / ٣٤١ ، والإصابة : ١ / ٢٣٧ ، وتهذيب التهذيب : ٢ / ٩٨ ، وسر أعلام النبلاء : ١ / ٢٠٦ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ٢٧١ ، والعقد الثمين : ٣ / ٤٢٤ ، وشذرات الذهب : ١ / ١٢ ، ٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب : البخاري مع الفتح : ٧ / ٧٥ . وفي كتاب المغازي ، باب في غزوة مؤتة من أرض الشام : البخاري مع الفتح : ٧ / ٥١٥ .

(٣) رواه الترمذي في كتاب المناقب ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب : ٥ / ٦٥٤ رقم : ٣٧٦٣ ، والطبراني في معجمه الكبير : ٢ / ١٠٧ رقم : ١٤٦٦ : قال الهيثمي : وإسناده حسن : مجمع الروائد : ٩ / ٣٧٣ ، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة : ٣ / ٢٠٩ وقال الذهبي : هذا حديث

الفصل الثاني : إحاطة القرآن بأحوال أمم الطير:

المبحث الأول : الطير أمة من الأمم :

قال تعالى: ^(١) ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ^(٢).

والمعنى كما قال الطبري: " يقول الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين بآيات الله أيها القوم لا تحسبن الله غافلاً عما تعملون أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناساً بجنسة وأصنافاً مصنفة تعرف كما تعرفون ، وتتصرف كما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها " ^(٣).

= صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأبو يعلى في مسنده : ١١ / ٣٥٠ . قال ابن حجر : " أخرجه الترمذي والحاكم ، وفي إسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم " أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم ، وأخرج أيضاً هو والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً : " دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفرًا يطير مع الملائكة " فتح الباري : ٧ / ٧٦ .

(١) انظر : الطبري : ٧ / ١٨٧ . الكشف : ٢ / ١٧ ، التفسير الكبير : ١٢ / ٢١١ . زاد المسير : ٣ / ٣٤ . نظم الدرر للبقاعي : ٧ / ١٠٥ ، روح المعاني : ٧ / ١٤٢ . في ظلال القرآن : ٢ / ١٠٨٠ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٧ / ١٨٧ .

ويفهم من كلام الطبري أن الآية ذكرت أصغر المخلوقات وأقلها شأنًا (في عداد دواب الأرض) وما هو أعظم شأنًا وهي أمة الطير . فكأنها مقارنة بين طرفين . وظاهر الآية جعل أمة الطير مقابل الدواب جميعاً فهي مفردة بالذكر .
والأمة كما قال الراغب : " كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً ، وجمعها أمم " ^(١) ، " ولا تكون هذه أمماً حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها ، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها " ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا أُمَّمٌ مُّثَالَكُمْ﴾ .

" قال مجاهد : أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها . وقال قتادة : الطير أمة والإنس أمة ، والجن أمة . وقال السدي : أي خلق أمثالكم " ^(٣) .
قال رشيد رضا : " فالأولان على أن المماثلة بالصفات المشتركة التي يتميز به بعض الأنواع والأصناف عن بعض وهي التي نسميها المقومات والمشخصات ، والثالث على أن المماثلة في أصل الخلق ، أي كونها مخلوقة مثلنا ، ويتبع ذلك ما يلزمه من حكمة الله وتدبيره فينا وفيها ، ونقل الواحدي عن ابن عباس أن المراد بالمماثلة أنها تعرف الله وتوحده وتسبحه وتحمده كما يفعل المؤمنون منا .
... وقيل : إن المماثلة بإحصاء الكتاب لجميع الأحوال المتعلقة بحياتها وموتها كالإنس ، وقيل : إنها بحشر الله تعالى إياها كما يحشرنا وحسابه لها كما يحاسبنا

(١) المفردات للراغب : ٢٣ ، مادة (أ م م) .

(٢) في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢ / ١٣١ .

واختار الرازي ^(١) أنها بعناية الله تعالى ورحمته بها وفضله عليها .. والمختار عندنا أن الله تعالى أرشدنا إلى أن أنواع الحيوان أمم أمثال الناس ، ولم يبين لنا وجه المماثلة بينهما، لأجل أن نستعمل حواسنا وعقولنا في البحث الموصول إلى ذلك . . ، وللمماثلة وجوه كثيرة اهتدى بعض العلماء إلى بعضها ويجوز أن يهتدي غيرهم إلى غير ما اهتدوا إليه ، ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه الأخصائيون في كل علم وفن ، وتيسرت فيه أسباب البحث ، إذ يوجد في بلاد العلم والحضارة بساتين لتربية أنواع السباع والحشرات والبهائم الوحشية والآنسة والطيور والسّمك ، فالعلماء الذين يعنون بتربيتها ودرس غرائزها وطباعها وأعمالها في تلك البساتين وفي غيرها قد وصلوا إلى علم جم ، ووقفوا على أسرار غريبة ، ومما ثبت من مشاهة النمل للناس أنه يغزو بعضه بعضاً ، وأن المنتصر يسترق المنكسر ويسخره في حمل قوته وبناء قراه وغير ذلك " ^(٢) .

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ .

تستعمل العرب الطيران لغير الطائر ، قال العنبري :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا ^(٣)
وفي الحديث " رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على مثنه " ^(٤) أي يجريه في الجهاد . فاستعار له الطيران . يقول أحدهم للرجل : طر في حاجتي أي أسرع . ولذا فقد ذكر تعالى : (بجناحيه) ليمحض القول في الطير .

(١) التفسير الكبير : ١٢ / ٢١٣ .

(٢) تفسير المنار : ٧ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٣) اللسان : ٢ / ٦٣٥ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب : الإمارة ، باب : فضل الجهاد والرباط : ٣ / ١٥٠٣ ، رقم : ١٨٨٩ . ونص الحديث : " من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في

وفيه دليل على أهمية التوازن في الطيران " فاعتدال جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران ، ولو كان غير معتدل لكان يميل . . والجناح أحد ناحيتي الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهواء ، وأصله الميل إلى ناحية من النواحي، ومنه جنحت السفينة إذا مالت إلى ناحية الأرض لاصقة بها فوقفت " (١) .

قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

قال ابن قتيبة : أي ما تركنا شيئاً ولا أغفلناه ولا ضيعناه (٢) .

المبحث الثاني : خصوصية أمة الطير وارتباطها بالعلم :

قال تعالى: (٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ

صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤) .

ظاهر الآية يدل على خصوصية الطير في ذكرها دون غيرها ، وأنها أمة بين السماء والأرض . قال البغوي : " قيل : خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض " (٥) .

= سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هبة أو فرقة طار عليه يتنغي القتل والموت مظانه ، أو رجل في غنيمة في رأس شعبة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير " .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٢٧٠ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ١٥٣ . وانظر : غريب القرآن وتفسيره لليزيدي : ١٣٥ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن : ١٢٨ ، وتحفة الأريب لأبي حيان : ٢٤٦ .

(٣) الرازي : ٢٤ / ٩ ، البغوي : ٣ / ٣٥٠ ، القرطبي : ١٢ / ١٨٨ ، الخازن : ٥ / ٨٢ ، ابن كثير : ٦ / ٧٧ ، ابن عاشور : ١٨ / ٢٥٧ .

(٤) سورة النور : ٤١ .

(٥) البغوي : ٣ / ٣٥٠ ، الخازن : ٥ / ٨٢ . وانظر الرازي : ٢٤ / ٩ . وابن عاشور : ١٨ / ٢٥٨ .

كما أن التسبيح في هذه الآية مقترن بالعلم بخلاف قوله تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ ^(١) . وقد اقترن بالعلم بعد ذكر أمة الطير ، ولهذا دلالة في دقة نظامها الذي يحكمها ، يدل عليه قول سليمان عليه السلام : ﴿ عَلَّمَنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) فذكر العلم هنا من الخاص قبل العام حيث قال بعدها : (وأوتينا من كل شيء) فللطير (علمنا) ولما سواها (أوتينا) فالعلم للطير والإيتاء للغير . فارتباط العلم بأمة الطير وثيق .

المبحث الثالث : الطير مجال عظيم للتأمل والتفكير :

أولا : قال تعالى : ^(٣) ﴿ أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًفًا وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ ^(٤) ﴾ .
وفي هذه الآية من الدلائل على خصوصية أمة الطير ما يلي :

(١) سورة الإسراء : ٤٤ . قال القرطبي : " الصلاة للإنسان والتسبيح لما سواه من الخلق . وقال سفيان : للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ، وقيل : إن ضربها بأجنحتها صلاة ، وإن أصواتها تسبيح حكاة النقاش ، وقيل : التسبيح هاهنا ما يرى في المخلوق من أثر الصنعة " الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٨٩ .

(٢) سورة النمل : ١٦ .

(٣) الطيري : ٢٩ / ٨ ، القرطبي : ١٧ / ١٤٢ ، والرازي : ٣٠ / ٧١ ، والبغوي : ٤ / ٢٧٢ وابن كثير : ٨ / ٢٠٧ . وزاد المسير لابن الجوزي : ٨ / ٣٢٢ . وروح المعاني للآلوسي : ٢٩ / ١٧ . في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٤٢ . أضواء البيان : ٨ / ٤٠٩ .

(٤) سورة الملك : ١٩ .

١- فكما أننا مدعوون للنظر والتأمل في أمة الطير فنحن كذلك مدعوون للنظر في فوقية هذه الأمة وعلوها على غيرها من الأمم .

٢- دقة النظام في هذه الأمة وانضباطها ، يبدو ذلك من خلال صفها لأجنحتها وصفوفها إذا اجتمعت ، قال البقاعي : " صفات : أي باسطات أجنحتها تمدها غاية المد ، بحيث تصوير مستوية لا اعوجاج فيها مع أنه إذا كان جماعة منها كانت صفوفاً أو صفاً واحداً في غاية الانتظام تابعة لإمام منها " (١) .

٣- شدة نفورها واتساع مجال حركتها ، وعظم ما هي فيه ، فقدرة الله وحدها وحكمته هي التي كفلت لها بقاءها على هذه الهيئة المتفوقة .

ثانياً : قال تعالى: (٢) ﴿الْمُرُوءَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

فكما أننا مدعوون للنظر والتأمل في أمة الطير فنحن كذلك مدعوون للنظر في تسخير هذه الأمة داخل نطاق (جو السماء) الذي لا تتجاوزه .

وفي هذه الآية دليل على قوة هذه الأمة (أمة الطير) وتعدد ميادين حياتها ومعيشتها وسعة مجال حركتها .

(١) نظم الدرر : ٢٠ / ٢٥٢ .

(٢) الطيري : ١٤ / ١٥٢ . القرطبي : ١٠ / ١٠٠ . الرازي : ٢٠ / ٨٧ . زاد المسير : ٤ / ٤٧٥ .

الدر المصون : ٧ / ٢٧٢ . روح المعاني : ١٤ / ٢٠٣ . في ظلال القرآن : ٤ / ٢١٨٦ .

(٣) سورة النحل : ٧٩ .

كما أن فيها دعوة للنظر والتأمل فيما سخره الله في عالم الطيران والفضاء
نظر اعتبار دعت إليه الآية في (ألم يرو) وفي تذييلها بـ قوله : (لآيات لقوم
يؤمنون) .

(ألم يرو) وقرئت (ألم تروا) بالخطاب والغيبة على اختلاف القراءتين ^(١)
والسياق هنا فيه تعداد لنعم الله تعالى على المقبل والمعرض ^(٢) .
(مسخرات) أي مذللات للطيران بما أقامها الله فيه من المصالح والحكم
بالطيران وغيره .

الإمساك : هو الشد عن التقلت ^(٣) والتفكك والانفراد .
والجو : هو الفضاء الذي بين الأرض والسماء ، وهو مباح كله للطيران .
المبحث الرابع : عظم خلق الطير وعلو شأنها :
ولاشك أن عظم خلق الطير وعلو شأنها ينساق على مهامها وأدوارها ،
فمهامها وأدوارها بالغة الأهمية .
ومما يدل على عظم خلق الطير وعلو شأنها ما يلي :

(١) قرأه ابن عامر وحمة ويعقوب وخلف ، ووافقهم الحسن والأعمش على الخطاب رداً على لفظ
الخطاب الذي قبله ، وهو قوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل
لكم) ، آية : ٧٨ ، وعلى قوله قبل ذلك : (فلا تضربوا لله الأمثال) آية : ٧٤ وقوله : (وأنتم لا
تعلمون) ثم قال : (ألم تروا) فجري كله مجرى الخطاب . وقرأ الباقرن بالياء ، ردوه على لفظ
الغيبة في قوله تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا) آية : ٧٣ ، وقوله تعالى : (ولا
يستطيعون) . قال مكّي بن أبي طالب : وهو الاختيار لأن الجماعة عليه . الكشف عن وجوه
القراءات السبع لمكّي بن أبي طالب القيسي : ٢ / ٤٠ . وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة
عشر لأحمد البنا : ٢ / ١٨٧ .

(٢) نظم الدرر : ١١ / ٢٢٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٣٤ .

أولاً : جعل الله جل جلاله خلق الطير آية لإبراهيم عند طلبه رؤية كيفية إحياء الموتى .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ ثُبُورٌ ۚ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۚ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ۖ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

فاختار الله تعالى لنبیه إبراهيم عليه السلام من بين مخلوقاته جميعاً الطير ليرى من خلالها كيف يحيي الله الموتى .

وختم الآية بقوله : (واعلم أن الله عزيز حكيم) يوحى بأن عزة الله تعالى وحكمته بادية في خلق الطير .

ثانياً : جعل الله تعالى خلق الطير من الآيات العظيمة التي عددها عيسى عليه السلام على بني إسرائيل مما امتن الله به عليه من معجزات باهرات .

قال تعالى: ﴿٢﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِقَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٣﴾

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) الطبري : ٣ / ٢٧٤ ، والقرطبي : ٣ / ٦١ ، والرازي : ٧ / ٥٦ ، وابن كثير : ٢ / ٣٦ ، وابن الجوزي : ١ / ٣٩١ . والآلوسي : ٤ / ١٦٧ ، وفي ظلال القرآن : ١ / ٣٩٩

(٣) آل عمران : ٤٩

و قال تعالى: ^(١) ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ۖ﴾ ^(٢).

وفي الإشارة إلى الطين هنا بيان لعظمة هذه المعجزة التي جعلت الطين يطير . قال ابن كثير : " يصور الطين شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل ، الذي جعل هذا معجزة له يدل على أن الله أرسله " ^(٣) . فكان الطين قد " جعل لنفسه التقدير وأسند الله تكوين الحياة فيه ، وزاد (بإذن الله) لإظهار العبودية، ونفي توهم المشاركة في خلق الكائنات " ^(٤) .

ومما يزيد الأمر وضوحاً في هذا الشأن الإشارة إلى الخصائص (الفسولوجية) التركيبية للطير حيث يتمتع بأصغر وأدق وأبسط أدوات الانطلاق والصعود والتحليق ، وكذلك أدوات التحكم في السرعة زيادة ونقصاً ، إلى جانب وسائل التوجيه (الراداري) وتحديد الاتجاهات الجغرافية: شمالية وجنوبية ، شرقية وغربية ، بالإضافة إلى تعيين الأهداف والأماكن المقصودة ، وكذلك أدوات السيطرة اللازمة للاستحواذ والقنص ، والإرسال والقذف ، وأخيراً وليس آخراً الوسائل بالغة الدقة والتعقيد في الإقلاع والهبوط العمودي والمائل من وعلى مختلف الأسطح الناعمة والخشنة ، الصلبة والرخوة ، وفي جميع

(١) الطبري: ١٨٧ / ٧ ، والقرطبي: ٢٣٣ / ٦ ، والرازي: ١٢ / ١٢٦ ، وابن كثير: ٣ / ٢١٨ ، وابن الجوزي: ٢ / ٤٥٤ ، والآلوسي: ٧ / ٥٦ ، وفي ظلال القرآن: ٢ / ٩٩٧ .

(٢) المائدة: ١١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٢ / ٣٦ .

(٤) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٥١ بتصرف .

الأحوال المناخية ، وفي ظروف الإضاءة الملائمة وغير الملائمة ، وذلك لأنها
مُعَدَّة ومهيَّأة من قِبَل المولى سبحانه: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى ۝ ^(١) .

ويمكن الإشارة إلى طبيعة الذباب (الفسيولوجية) التركيبية كمثال مشاهد
على مدى التعقيد والدقة ، وهو من أحقر أفراد أمة الطير وليس أفضلها -
باعتبار طيرانه لا باعتبار فصيلته - وبه ضرب الله المثل للتدليل على عظمة
قدرته على الخلق والتكوين ، وللتدليل على عجز البشر وضعفهم أمام هذا
المخلوق المهيمن .

(١) سورة طه : ٥٠ .

الفصل الثالث : أهمية الطير في القرآن :

المبحث الأول : حماية الله لبيته الحرام بالطير :

قال تعالى: ^(١) ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ

﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ۝ ^(٢) .

شرف الله تعالى أمة الطير دون غيرها من الأمم باختياره لها ، وإرسالها لحماية بيته المحرم من الظلمة المعتدين .

وقد كلفت الطير في هذه المهمة بمواجهة أعتى أنواع الأسلحة الثقيلة في ذلك الوقت وهي الفيلة التي جعلت أهل الحرم يفرون بأنفسهم منها إلى الجبال . وقد كان لعلو الطير ومجيئها على هذه الصفة (وأرسل عليهم) أبلغ الأثر في تدمير جيش أبرهة بأكمله تدميراً تاماً . فأدت الطير هذه المهمة بنجاح منقطع النظير وكانت نتائجها حاسمة كما قال جل جلاله : (فجعلهم كعصف مأكول) .

وهذه المهمة التي قامت بها الطير تشبه إلى حد بعيد ما يسمى بمهمة الإسناد الجوي القريب (CAS) . حيث تقوم عدة طائرات قاذفة بتدمير أهداف أرضية محصنة بقذفها بالقنابل أو الصواريخ الموجهة عن قرب لإحداث أكبر أثر تدميري نظراً لقرب المسافة التصويبية مما يزيد من دقة التصويب ، ويزيد من فاعلية التأثير وتتم هذه العملية في حماية عدد من الطائرات المقاتلة التي تتولى مراقبة ومهاجمة

(١) الطيري : ٣٠ / ٢٩٨ . القرطبي : ١٠ / ١٩٦ . الرازي : ٣٢ / ٩٩ . ابن كثير : ٨ / ٥٠٨ .

زاد المسير : ٩ / ٢٣٢ . روح المعاني : ٣٠ / ٢٣٦ . البغوي : ٤ / ٥٢٨ . أضواء البيان : ٩ /

٥٢٢ . في ظلال القرآن : ٦ / ٣٩٧٤ .

(٢) سورة الفيل : ١ - ٥ .

الأهداف المعادية المتحركة أو الثابتة ؛ لأن الطائرات القاذفة لا تكون في حالة تسمح لها بالحركة الخفيفة ومواجهة الطائرات المعادية .

و (أبابيل) : أي متتابعة بعضها في إثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد ، وقال عكرمة : أي مجتمعة ، وقال ابن مسعود وابن زيد والأخفش : مختلفة متفرقة تجيئ من كل ناحية من هاهنا وهاهنا . قال النحاس : وهذه الأقوال متفقة وحقيقة المعنى أنها جماعات عظام يقال : فلان يؤبل على فلان : أي يعظم عليه ويكثر^(١) .

وتتمثل أهمية الدور الذي أدّاه الطير في هذه المهمة في كونه المنفذ غير المتوقع بسبب صغر حجمه ، كذلك كونه أنجز المهمة بسرعة وتفوق حيث كانت أعداده كبيرة ومنظمة حيث وزعت وقسمت مجموعات تولت كل مجموعة مهمة من المهام المساندة أو القاذفة أو المراقبة لحماية البيت الحرام في حالة ما كان عليه من انعدام القوى المدافعة عنه وتخليتها بينه وبين القوة المعادية المهاجمة .

المبحث الثاني : الطير دعامة من دعائم ملك نبي الله داود عليه السلام :

يدل عليه ما يلي :

أولاً : قال تعالى : ^(٢) ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ

إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۖ

(١) القرطبي : ٢٠ / ١٩٨ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٤ / ١٦٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٥ / ١٠٦ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢٦ / ١٩ ، ومعالم التنزيل للبغوي : ٤ / ٥١ ، ونظم الدرر للبقاعي : ١٦ / ٣٥٠ ، وزاد المسير لابن الجوزي : ٧ / ١١١ ، وروح المعاني للألوسي : ٢٣ / ١٧٤ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور : ٢٣ / ٢٢٨ .

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ ﴿١﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢﴾ .

ثانياً : قال تعالى: ﴿٣﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٤﴾ .

ثالثاً : قال تعالى: ﴿٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوتِىَ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٦﴾ .

ويتضح من هذه الآيات أن من مظاهر شد الله لملك داود عليه السلام تسخير الجبال وتسخير الطير له وحشرها بين يديه مسبحة ، والجبال هي أعظم الأراضي صلابة وقد جعلها الله تعالى منقادة له ذلولا " وهو تسخير قهر وغلبة " (٦) .

(١) سورة ص : ١٧ - ٢٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧ / ٥٤ ، والكشاف : ٢ / ٥٨٠ ، والبحر المحيط : ٦ / ٣٣١ ، وتفسير البغوي : ٣ / ٥٥٠ ، وتفسير القرطبي : ١٤ / ١٧٠ ، وزاد المسير : ٦ / ٤٣٥ ، وروح المعاني : ٢٣ / ١٧٤ ، وأضواء البيان : ٤ / ٦٧٢ ، والتحرير والتنوير : ٢٣ / ١٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء : ٧٩ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٤ / ١٧٠ ، والبغوي : ٣ / ٥٥٠ ، وزاد المسير : ٦ / ٤٣٤ ، التحرير والتنوير : ٢٣ / ١٥٥ .

(٥) سورة سبأ : ١٠ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي : ٤ / ١٦٢٤ . وقد قال الله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية الله) في معرض بيان عظمة هذا القرآن . وقال تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) لأنه أصلب وأقوى ما على الأرض .

ولعل اقتران الجبال بالطير في هذه الآيات جميعاً لأن الجبال تمثل غاية القوة والصلابة ، والطير تمثل غاية النفرة والخفة ، فجمع الله لداود ذلك .
وقدمت الجبال على الطير، لأن تسخيرها وتسييحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد^(١) .

ويتضح من هذه الآيات : جعل الطير في مقام الجبال ، وأن صعوبة حشر الطير كصعوبة تسييح الجبال . كما أنهما يشتركان في علوهما ورفعتهما وشموخهما

فعبد من عباد الله تنقاد له الجبال والطير بالتسبيح معه " فلا يرى الناس منظرأ أحسن من ذلك ولا يسمعون شيئاً أطيب منه " ^(٢) له من الهيبة والمكانة في قلوب الخلق ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

قوله تعالى : (ذا الأيد) وقوله (وشددنا ملكه) وقوله : (فضلاً) فيها دلالة على قوة ملك داود عليه السلام ، قال ابن عباس : " كان داود أشد ملوك الأرض سلطاناً " ^(٣) ، ومعنى (شددنا ملكه) : أي قويناه حتى ثبت . قيل : بالهيبة وإلقاء الرعب منه في القلوب ، وقيل : بكثرة الجنود ، وقيل : بالتأييد والنصر ^(٤) . ولا يمنع من اجتماعها جميعاً لداود عليه السلام ، وأما تنكير (فضلاً) : لتعظيمه ^(٥) ، وقال البقاعي : " التنوين للتعظيم " ^(٦) .

(١) الكشف للزمخشري : ٢ / ٥٨٠ .

(٢) نظم الدرر : ١٥ / ٤٥٧ . وزاد المسير : ٦ / ٤٣٦ .

(٣) أحكام القرآن للقرطبي : ١٥ / ١٠٧ .

(٤) أحكام القرآن للقرطبي : ١٥ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٢ / ١٥٥ .

(٦) نظم الدرر : ١٥ / ٤٥٦ .

وقوله تعالى : (معه) : أي مصاحبة له . " ولم تأت باللام كقوله تعالى : ﴿ وَلَسْلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ ﴾ لأن تسخير الجبال له ^{الملك} لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه ، بل بطريق الاقتداء به في عبادة الله تعالى " (١) .
ولعل اختصاص (معه) بالجبال دون الطير ، لشدة ثقلها ورسوخها بخلاف الطير الخفيفة النافرة .

(يسبحن) : وهو ضمير الإناث إشارة إلى أنها بالرغم من صلابتها الشديدة إلا أنها صارت في غاية اللين والرخاوة .
(بالعشي) : وبدأ به لأن آخر النهار وقت رجوع كل ذي إلف إلى مألفه وهو وقت الفتور .

(والإشراق) : وهو وقت انتشاب الناس في أعمالهم ومصالحهم .
(محشورة) : أي مجموعة إليه كرها من كل جانب دفعة واحدة يدل عليه التعبير بالاسم دون الفعل وهو أدل على القدرة .
(أوبي) : أي سبحي معه وأصله من الرجوع ، والتأويب في السير : أصله أن يسير النهار كله ويتزل ليلا ، فكأنه أراد : أوبي النهار كله بالتسيح إلى الليل (٢) .

" قال الحسن : معنى (أوبي) معه سيري معه أين سار ، والتأويب سير النهار كأن الإنسان يسير بالليل ثم يرجع للسير بالنهار أي يردده " (٣) .

(١) روح المعاني للآلوسي : ٢٣ / ١٧٤ .

(٢) غريب القرآن وتفسيره لليزيدي : ٣٠٥ ، وانظر : زاد المسير : ٦ / ٤٣٥ .

(٣) البحر المحيط : ٧ / ٢٦٣ . وزاد المسير : ٦ / ٤٣٥ .

(وألنا له الحديد) كان داود عليه السلام: " لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يقتله بيده مثل الخيوط " ^(١) .

المبحث الثالث : الطير في مملكة سليمان عليه السلام :

المطلب الأول : احتفائه عليه السلام بتسخير الطير له :

قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ۖ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٢) .

ظهر الطير في البيان الملكي النبوي الأول لسليمان عليه السلام الموجه لأُمته . ومثل هذا البيان له أهميته في استعراض القوة والحديث عن الإمكانيات .

وتظهر أهمية الطير في هذه الآية من خلال ما يلي :

١- إفراده عليه السلام للطير بالذكر وأنه قد عُلم منطقها دون غيرها على الرغم من علمه بمنطق سائر الحيوانات كما دلت عليه قصته مع النملة في قوله تعالى :
﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ .

٢- ذكر سليمان عليه السلام للطير وامتلاكه لأمرها ، حيث أصبحت مسخرة له وجنداً من جنده ، ذكر هذا دون غيره من الجن والشياطين والرياح مما سخره الله تعالى له واختصه به .

٣- التصريح بوجود منطق للطير ، " وحيثما تجد المنطق تجد الروح والعقل والاستطاعة " ^(٣) .

(١) تفسير ابن كثير : ٦ / ٤٨٥ ، وعزاه إلى الحسن البصري وقادة والأعمش .

(٢) سورة النمل : ١٦ .

(٣) الحيوان للجاحظ : ٧ / ٤٩ .

٤- بناء (عَلَّمْنَا) للمجهول مما يوحي بضخامة هذا الأمر الذي علّمه سليمان عليه السلام . وفيه دلالة على أن هذا الذي أوتيّه من منطق الطير ومن النعم ليس مما ورثه عن أبيه ^(١) ، وإنما عزاه إلى مصدره الأصلي ، إلى الله تعالى ^(٢) الذي ﴿ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(٣) .

٥- وردت (علمنا) للطير وأما ما عداها فهو إيتاء (وأوتينا من كل شيء) .

٦- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ البين الواضح . قال الطبري : " والمبين الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس " ^(٤) .

﴿ علمنا منطق ^(٥) الطير ﴾ ارتبط هنا المنطق صراحة بالطير، في حين لم يذكر لغيرها من الحيوانات ، وفيه دليل على مزية الطير على غيرها من الأمم .

(١) قال الرازي " ذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب ، وفي حق سليمان بحالة السلم ، وهي المساكن والمآكل ، وذلك لأن سليمان كان ولد داود ، وداود قتل جالوت والملوك الجبابرة ، واستوى داود على الملك فكان سليمان كولد ملك يكون أبوه قد سوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده ، ولأن سليمان لم يقدر أحد عليه في ظنه فتركوا الحرب معه ، وإن حاربه أحد كان زمان الحرب يسيرا لإدراكه إياه بالريح ، فكان في زمانه العظمة بالإطعام والإنعام " التفسير الكبير : ٢٤٩ / ٢٤ .

(٢) في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٤ .

(٣) سورة البقرة : ٣١ .

(٤) تفسير الطبري : ١٩ / ١٤١ .

(٥) المنطق : الكلام ، وكلام كل شيء : منطق ، والمنطق : لعلم يعصم الذهن من الخطأ في التفكير ، يقال : فلان منطقيٌّ : عالم بالمنطق أو يفكر تفكيراً سليماً " لسان العرب : ٣ : ٦٦٢ ، والمعجم الوسيط : ٩٣١ .

قال الطبري : " (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) يعني فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم " (١) .

وعلى الرغم من تسليمنا بأن ما وهبه الله تعالى لسليمان بأنه معجزة ومنة إلهية خص الله بها سليمان دون غيره ، إلا أن هذا يؤكد أن لهذه الأمة (منطقاً) خاصاً بها ، وحسبنا ذلك في الدلالة على أن هذه الأمة أمة متميزة .

=وقال الراغب : : " النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يُظهرها اللسان وتعيها الآذان قال : (مالكم لا تنطقون) ولا يكاد يقال إلا للإنسان ، ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع . . ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً . . وقوله (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) إشارة إلى أنهم ليسوا من جنس الناطقين ذوي العقول . . . وقد يقال الناطق لما يدل على شيء وعلى هذا قيل للحكيم : ما الناطق الصامت ؟ فقال : الدلائل المخيرة والعبير الواعظة " . المفردات : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، مادة (نطق) .

وقد ورد النطق في القرآن في (١٢) موضعاً ، وقد تعلق بجوانب عدة وذلك على النحو الآتي :

أولاً : نطق البشر (موضعان) وهما موضعان يشعران بأن النطق من خصائص البشر كما في قوله تعالى : (ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى) النجم : ٢ ، ٣ . وقوله تعالى : (فارب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) الذاريات : ٢٣ .

ثانياً : وصف الكتاب العزيز بأنه ناطق رفعة لشأن النطق (موضعان) : كما في قوله تعالى : (ولدينا كتاب ينطق بالحق) المؤمنون : ٦٢ . وقوله تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)

الحاثية : ٢٩

ثالثاً : من مظاهر ضعف الأصنام الواضحة للعيان عدم نطقها (٣ مواضع) كما في قوله تعالى : (مالكم لا تنطقون) الصافات : ٩٢ . (قال بل فعله كبيرهم هذا فستلوهم إن كانوا ينطقون) الأنبياء : ٦٣ . (ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) الأنبياء : ٦٥ .

رابعاً : توقف النطق مظهر عجز وضعف (موضعان) : كما في قوله تعالى : (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) النمل : ٨٥ . وقوله تعالى : (هذا يوم لا ينطقون) المرسلات : ٣٥ .

خامساً : في الآخرة وهو اليوم الذي تظهر فيه قدرة الله تعالى وعظمته ورجوع الأمر إليه (موضعان) كما في قوله تعالى : (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت : ٢١ .

سادساً : ارتباط النطق بصراحة بالطير دون غيره من الحيوانات كما في هذه الآية (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) النمل : ١٦ .

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ١٤١ .

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة . والبيان : الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق المختص بالإنسان . وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره كقوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

المطلب الثاني : الطير جند مسخرة لسليمان عليه السلام :

كان للطير في مملكة سليمان عليه السلام أدوار خاصة بها ، وكانت تتلقى الأوامر والتعليمات كسائر الجند الآخرين ، بل لقد كان للطير القدح المعلى في الدعوة والدفاع عن الدين والعقيدة، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : قال تعالى: ^(٢) ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٣) .

والجنود: جمع جند وهو الطائفة التي لها عمل متحد تسخر له ^(٤) .
وقد خص الطير بالذكر هنا دون الجنود الآخرين (كالوحش والخيل والإبل وغيرها) لأهمية دوره في جيوش سليمان ، وفي قول النملة ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّملُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٥)
دلالة على كثرة جنوده التي تمشي على الأرض وتنوعها .

(١) سورة آل عمران : ١٣٨ .

(٢) الطيري : ١٨ / ١٤١ . القرطي : ١٣ / ١١٣ . الرازي : ٢٤ / ١١٥ . زاد المسير : ٦ / ١٥٩ .

روح المعاني : ١٩ / ١٧٣ . في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٢ .

(٣) سورة النمل : ١٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٣٩ .

(٥) سورة النمل : ١٨ .

قال الطبري : " كان عسكره مائة فرسخ ^(١) في مائة ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون منها للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير . وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية " .

وقال القرطبي : " كان ملكه عظيماً ، ملأ الأرض وانقادت له المعمورة كلها " ^(٢) .

وسياًتي بعد قليل مزيد بيان عن هذه الآية عند الحديث عن دور الطير في المسير إلى وادي النمل .

ثانياً : كان للطير مهمات استطلاعية دقيقة ومثمرة (RECONNAISSANCE) ويطلق عليها اختصاراً (RECEE) اتضحت من خلال ذهاب الهدهد إلى اليمن في قوله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَلٍ مَّنْ بَنَیْ يَقِينٍ ﴾ ^(٣) ، وكان من ثمرات هذه المهمة دخول أمة من البشر بأكملها في دين الله .

وتجدر الإشارة إلى أن قوات الاستطلاع تتطلب صفات خاصة في العاملين بها من حيث خفة الحركة ، وقوة الملاحظة ، وحدة الذكاء ، وتحمل المسؤولية التي تستلزم الكتمان والسرية وعدم إفشاء الأسرار العسكرية ، كما تتطلب هذه

(١) الفرسخ ثلاثة أميال ، والميل يقدر الآن بما يساوي : ١٦٠٩ من الأمتار ، فيكون المجموع هنا ٣٠٠ ميل ، والميل يقدر الآن بما يساوي : ١٦٠٩ من الأمتار ، وعليه فمجموع أمتارها : ٤٨٢٧٠٠ متر أي : ٧ ، ٤٨٢ كيلو متراً . انظر : المعجم الوسيط : ٦٨١ مادة (فرسخ) . ٨٩٤ مادة (مال) .

(٢) جامع البيان : ١٩ / ١٤١ .

(٣) سورة النمل : ٢٢ .

القوات تدريبات خاصة ومميزة لإكسابها المهارات اللازمة لتنمية قدراتها الخاصة حتى تظل دائماً متفوقة نوعياً وبدنياً .

ثالثاً : تلقت الطير من سليمان عليه السلام أوامر عمل (AIR TECHNICAL ORDER) ويطلق عليه اختصاراً (ATO) بحمل الهدهد للكتاب إلى ملكة اليمن وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(١) .

رابعاً : مارست الطير أدواراً قتالية في كتاب الله تعالى كما سبقت الإشارة فكانت (ترمي) كالقاذفات : قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ^(٢) . وقد سبق الحديث عنها .

المطلب الثالث : دور الطير في الزحف العسكري وحشد الجيوش :

قام الطير بوصفه أحد ركائز قوات الاستطلاع بدور فاعل في تأمين الحشد العسكري لجيوش سليمان عليه السلام وإعدادها للزحف والقتال ، ويظهر هذا الدور في الآيات الآتية :

الآية الأولى :

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٣) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة النمل : ٢٨ .

(٢) سورة الفيل : ٣ .

(٣) الطبري : ١٨ / ١٤١ . القرطبي : ١٣ / ١١٣ . الرازي : ٢٤ / ١١٥ . زاد المسير : ٦ / ١٥٩ . روح المعاني : ١٩ / ١٧٣ . في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٢ .

(٤) سورة النمل : ١٧ ، ١٨ .

وهذه الآية من الآيات الرئيسة في موضوع بحثنا، ولذا سأفصل القول فيها على النحو الآتي :

أولاً : يتضح من هذه الآية أن سليمان عليه السلام قد سار بجنده بعد حشرهم ماراً على وادي النمل .

و (حُشِرَ) أي : جمع جمعاً حتماً بقهر و سطوة وإكراه بأيسر سعي ، وفيها دلالة على دقة التنظيم وحسن العمل حيث وكل إلى مختصين يتولون كل نوع من الجند على حدة ، ويتولون كذلك التنسيق العام لهذه الأنواع في (تجهيزها) ومسيرها .

ثانياً : الجنود جمع جند وهو الطائفة التي لها عمل متحد تسخر له ^(١) ، والطير هنا أهم (الجنود) فقد ذكروا بعد الجن والإنس مباشرة على الرغم من تنوع جنود سليمان عليه السلام ، فالخيل والوحش من جنده ، وقد سخرت له الريح ولكن لا أهم من الطير . وحيث إن الطير هنا (جنود) بنص الآية فهم يعدون القوة الجوية في جيش سليمان عليه السلام .

و (من) في قوله تعالى ﴿ من الجن والإنس والطير ﴾ يجوز أن تكون بيانية أو تبعيضية ^(٢) ، وكونها تبعيضية أبلغ .

ثالثاً : تنوع القوات في جيش سليمان عليه السلام وكثرتها أمر ظاهر ، فهي برية متنوعة يدل عليه قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا مَحْطَمَتَكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ ﴾ ^(٣) ، والخطم لا يكون إلا من الراجلة ، وفيها

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٩ / ١٩ .

(٢) روح المعاني للآلوسي : ١٧٣ / ١٩ .

(٣) سورة النمل : ١٨ .

قوات جوية متنوعة أيضاً (لاختلاف أنواع الطيور ومهامها والأدوار التي يمكن أن تقوم بها) ، ومثل هذه القوات التي أراد سليمان قيادتها بنفسه لابد لها من سرعة الاستعداد ، مع مراعاة الهيبة لهذا الموكب الملكي العظيم ، وهذا يتطلب الظهور بأفضل مظهر وتجهيز ، ولابد لموكب هذا النبي الملك من مراعاة أصول سلامة أفراده - هذه الأصول التي حرصت عليها غملة تجاه قومها كما في الآية التي تليها فكيف بسليمان النبي الكريم - ولابد لهذا الموكب من الحرص أيضاً على عدم الإضرار بالآخرين نظراً لضخامة هذا الجيش وتنوعه ، كما أنه بحاجة إلى مراعاة التوافق في مسيره بين راجلته وفرسانه وجنّه وإنسه مع الغطاء الجوي لتأمين القوات (المتمثل في الطير) والذي يدل ظاهر الآيات على أن الاعتبار الأول في هذا الجيش وهيئته لهذا الغطاء الذي يمثل القوة الجوية فيه دون غيرها .

رابعاً : لفظة « يُوزَعُونَ » توحى بأن من ضروريات الجند الضبط والربط فجنود سليمان هنا أنواع متنوعة وبأعداد ضخمة - كما أسلفت - وهذه لابد لها من (الوزع) . والوزع : " لا يكون إلا عن سير " ^(١) . وفيها دلالة على أنه قد " توافر لسليمان فيها الهيبة والنصرة والسلامة " ^(٢) .

ومن معاني الوزع عند المفسرين :

- الكف والمنع ، يقال وزعته أي كففته . ووزع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق ويرد من شدّ منهم ^(٣) ، وفي اللسان ^(٤) : الوزع في الحرب : الموكل بالصفوف ، يزع من تقدم منهم بغير أمره .

(١) نظم الدرر للبقاعي : ١٤ / ١٤٢ .

(٢) نظم الدرر للبقاعي : ١٤ / ١٤٢ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٢٣ .

(٤) لسان العرب : ٣ / ٩١٩ .

- أو هو حبس أولهم على آخرهم ^(١) .
- أو هو رد أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ^(٢) .
- أو دفع أخراهم وحبس أولاهم ، يقال : وزعته أزعه وزعاً إذا دفعته عني ^(٣) .
- ومن معاني (يوزعون) : يسارعون ، أو يساقون ، أو يدفعون ، أو يحشر أولهم على آخرهم ^(٤) .
- وفيها إشارة إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين ومُبعدين كما يكون الجيش الكثير المتأذى بمعرَّتهم بل كانوا مَسُوسين ومقموعين " ^(٥) .
- والوزوع : الولوع بالشيء (أوزعني أن أشكر نعمتك) ألهمني ، وتحقيقه أولعني ذلك .
- وأصل الإيزاع الإغراء بالشيء يقال : أوزعته بكذا، أي أغريته به ^(٦) .
- والتوزيع : القسمة والتفريق ، ومن هذا أخذ الأوزاع وهم الفرق من الناس ، يقال: أتيتهم وهم أوزاع، أي متفرون ^(٧) .
- قال ابن كثير : " أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزله التي هي مرتبة له . قال مجاهد : جعل على كل صنف وَزَعَة يردون أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل ملوك اليوم " ^(٨) .

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ٤٧ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٢٨٩ / ٢ .

(٣) غريب القرآن لليزيدي : ٢٨٦ .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن الملقن : ٢٨٨ .

(٥) المفردات : ٥٢٢ ، مادة (وزع) .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٢٣ .

(٧) لسان العرب : ٩١٩ / ٣ .

(٨) تفسير ابن كثير : ٣٥٨ / ٣ .

وقال الآلوسي : " أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ، ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر ، والأول أولى وفيه مع الدلالة على الكثرة والإشعار بكمال مسارعتهم إلى السير الدلالة على أنهم كانوا مسوسين غير مهملين لا يتأذى أحد بهم " (١).

وقال السيوطي : " وأخرج الطبراني والطسفي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله (فهم يوزعون) قال : يحبس أولهم على آخرهم حتى تنام الطير " (٢).

وقال الشوكاني : " وقوله (فهم يوزعون) أي لكل طائفة منهم وزعة تردّ أولهم على آخرهم فيقفون على مراتبهم ، يقال وزعه يزرعه وزعاً : كفه ، والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم : أي يرده . وقيل : من التوزيع بمعنى التفريق ، يقال : القوم أوزاع ، أي طوائف " (٣) .

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٧٤ .

(٢) الدر المنثور : ٦ / ٣٤٧ . وكلام ابن عباس هذا يوحي بأن سلاح الجو لا ينبغي له أن يوقف عملياته حتى توقف القوات الأرضية (البرية) تقدمها ، كما يوحي بأن التنسيق بين وحدات القوات المشتركة متعين فبعضها ينال ليستريح أو يستجم في حين البعض الآخر حذر جداً يراقب ويستطلع .

(٣) فتح القدير : ٤ / ١٣٠ . وقال ابن العربي : قال عثمان : ما يزع الناس السلطان أكثر مما يزعهم القرآن ، قال مالك : يعني يكفهم . . وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام فظنوا أن المعنى فيه أن قدرة السلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود القرآن ، وهذا جهل بالله وحكمته ووضعته لخلقهم فإن الله ما وضع الحدود إلا مصلحة عامة كافة قائمة بقوام الحق لا زيادة عليها ولا نقصان معها ولا يصلح سواها ولكن الظلمة خاسوا بها وقصروا عنها وأتوا ما أتوا بغير نية منها ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها فلذلك لم يرتدع الخلق بها " أحكام القرآن : ٣ / ١٤٥٠ .

الآية الثانية :

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ
أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(١) .
مما أشكل على المفسرين في هذه الآية تعدية الفعل أتى بـ (على) في قوله
تعالى : ﴿ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ .

علماً بأن سياق الآيات بعدها يدل دلالة واضحة على أن سليمان ومن معه
قد أتوا هذا الوادي يمشون أو راكبين دوابهم ، وإلا لما كان لكلام النملة معنى
عندما أُنذرت قومها بقولها : ﴿ يَأْتِيهَا النَّملُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ والحطم : مثل الهشم وهو
الكسر المتناهي ، ولا يكون الحطم في مثل هذه الحالة إلا دوساً بالأقدام .
ولعل إجابة الألوسي ودفعه لهذا الإشكال تمثل نموذجاً جيداً يتبين من خلاله
نظرة بعض المفسرين لطبيعة مهمات الطير ودورها .

قال الألوسي : " وتعدية الفعل إليه بكلمة (على) مع أنه يتعدى بنفسه أو
بإلى إما ، لأن إتيانهم كان من جانب عال ، فعدي بها للدلالة على ذلك ، كما
قال المتنبي :

ولشد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشد ما قربت عليك الأنجم
وإما لأن المراد بالإتيان عليه قطعه وبلوغ آخره من قولهم : أتى على الشيء
إذا أنفذه وبلغ آخره ، ثم الإتيان عليه بمعنى قطعه ، مجاز عن إرادة ذلك وإلا لم

(١) سورة النمل : ١٧ .

يكن للتحذير من الحطم الآتي وجه ، إذ لا معنى له بعد قطع الوادي الذي فيه النمل ومجاورته ، والظاهر على الوجهين أنهم أتوا عليه مشاة ، ويحتمل أنهم كانوا يسيرون في الهواء فأرادوا أن يتزلوا هناك فأحست النملة بتزلولهم فأندرت النمل " (١) .

وعليه فقد وضع الألوسي لدفع هذا الإشكال ثلاثة احتمالات :
الأول : أن إتيانهم على الوادي كان من جانب عال ، وهو بعيد .
الثاني : أن إتيانهم على الوادي بمعنى قطعه ومجاورته ، وهو بعيد .
الثالث : أن إتيانهم كان بحمل الريح لهم فلما اقتربوا نزلوا إلى الوادي وقد استبعدوا بصيغة الاحتمال ، ولا يخفى ما فيها من التكلف .
فكان كغيره من المفسرين يميل إلى أن الأمر مرتبط بعلو ولكنه لم يستطع تحديد ماهية هذا العلو وطبيعته .

و ما أجمل أن ندع (على) هنا على ظاهرها فلا نتكلف البحث عن مدلولات لا تحتملها . وهي تدل دلالة واضحة على أن إتيانهم كانت طبيعته ابتداء (عالية) .

ولعل في هذا دلالة على أن أكثر جنود سليمان فعالية وتأثيراً في هذه المهمة بالذات هم الطير ، سواء كان ذلك مهمات استطلاعية أو تشكيلات جوية منتظمة لإثارة الرعب في قلب من رآها كما حدث ذلك مع النملة أو تشكيلات جوية ذات مهمات محددة (لا محدودة) تسبق القوات البرية عند تأديتها لمهامها في مثل هذه المهمة الخاصة التي يقودها النبي الملك بنفسه .

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٧٥ .

والذي يظهر أيضاً أن هذه التشكيلات الجوية هي التي استدلت بها النملة على قرب مجيء سليمان وجنوده عندما قالت ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ آدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

ومعلوم أن المجيء من علو له تأثيره البالغ في تحديد المواقع وقوة التأثير ، وما أثر الرماة في غزوة أحد عنا ببعيد على الرغم من أن الجبل الذي كانوا عليه لم يكن شاهقاً . وقد قال تعالى عند كلامه عن أصحاب الفيل : (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) فالطير قد أتهم من علو ولذا كانت نتائج مجيئها على هذا النحو مؤثرة غاية التأثير في الأداء وسرعة التنفيذ (فجعلهم كعصف مأكول) .

المبحث الرابع : الهدهد وسليمان عليه السلام :

لعله من ضرورات المنهج العلمي أن نورد مثلاً تطبيقياً لأحد أفراد الطير تتجسد فيه خصائصه وقدراته على القيام بالمهام القتالية الدقيقة والصعبة الموكلة إليه ، ويمكن القول: إن الهدهد هو أبرز الأمثلة التي عرضت في القرآن ، وهو ما سنعرض له على النحو الآتي :

المطلب الأول : التعريف بالهدهد:

الهدهد طائر معروف يقرقر وفي رائحته نتن أصفر وردي اللون ، أصفر الأجفان ، أسود البرائن ، له تاج من الريش على رأسه (قرعة سوداء) وخطوط سوداء وبيضاء على جناحيه وذيله ، يقتات الحبوب والدود ، يرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرف على موضع علم أن به ماء .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " نهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد ^(١) " ^(٢) ، قال ابن كثير : وإسناده صحيح ^(٣) .

وطير الهدهد يبني عشه في جحور الأشجار والجدران والصخور ، وتضع أنثاه من خمس إلى سبع بيضات ، ويطعم الذكر الأنثى عندما تحتضن البيض . يأكل الهدهد الحبوب والدود والحشرات ويقضي وقتاً كثيراً على الأرض باحثاً عن الغذاء . وعندما يهدده طير آخر كالغراب مثلاً يسطح الهدهد نفسه

(١) " الصُّرْد بضم الصاد المهملة وفتح الراء : طائر معروف ضخم الرأس والمنقار ، له ريش عظيم ، نصفه أبيض ونصفه أسود . قال ابن الأثير : " قال الخطابي : إنما جاء في قتل النمل عن نوع منه خاص ، وهو الكبار وهو الكبار ذوات الأرجل الطوال لأنها قليلة الأذى والضرر ، وأما النحلة فلما فيها من المنفعة وهو العسل والشمع ، وأما الهدهد والصُّرْد فإنما نهي عن قتلها لتحريم لحمها ، لأن الحيوان إذا نهي عن قتله ولم يكن لحرمة أو ضرر فيه كان لتحريم لحمه ، ألا ترى أنه نهي عن قتل الحيوان لغير مأكله ، ويقال : إن الهدهد متنن الريح فصار في معنى الجلالة ، والصرد تتشاءم به العرب وتتطير بصوته وشخصه ، وقيل إنما كرهوه من اسمه من التصريد وهو التقليل " النهاية في غريب الحديث والأثر : ٢ / ٢١ ، ٢٢ / ٥ . وانظر : الترغيب والترهيب : ٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٢) رواه أحمد في مسنده : ١ / ٣٣٢ ، ٣٤٧ ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب قتل الذر : ٥ / ٤١٨ رقم : ٥٢٦٧ ، وابن ماجه في كتاب الصيد ، باب ما ينهي عن قتله : ٢ / ١٠٧٤ ، رقم : ٣٢٢٤ ، والدارمي في كتاب الأضاحي ، باب النهي عن قتل الضفادع والنحلة : ٢ / ١٦ ، رقم : ٢٠٠٥ والطحاوي في مشكل الآثار : ١ / ٣٧٠ ، والبيهقي في سننه الكبرى : ٩ / ٣١٧ ، وابن حبان في صحيحه : ٧ / ٤٦٣ ، رقم : ٥٦١٧ ، وأبو نعيم في الحلية : ٢ / ١٦٠ ، والخطيب في تاريخ بغداد : ٩ / ١٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦١ . ويحرم أكل الهدهد على الصحيح لنهي صلى الله عليه وسلم عن أكله لأنه متنن الريح ويقتل الدود ، وقيل : يحل أكله لأنه يحكى عن الشافعي وجوب الفدية فيه وعنده : لا يفدى إلا المأكول . وانظر : حياة الحيوان الكبير للدميري : ٢ / ٣٣١ ، دار القاموس الحديث .

على الأرض وينشر جناحه وذيله ويوجه منقاره إلى أعلى ، وقد يطلق في بعض الأحيان سائلا كربه الرائحة من الغدد الموجودة تحت ريشه ^(١) .

جمع الهدهد هداهد ، والهداهد بالضّم واحد : قال الراعي النميري :

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا ^(٢)
قال أبو الشيص ^(٣) في الهدهد ^(٤) :

لا تأمن على سرّي و سركم غيري وغيرك أو طي القراطيس
أو طائر ساجليّه وأنعتّه ما زال صاحب تنقيير وتدسيس
سود برائنه ميل ذوائبه صفر حمالقه في الحسن مغموس
قد كان همّ سليمان ليذبحه لولا سعايته في ملك بلقيس

المطلب الثاني : الآيات التي ذكرت القصة:

قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ

الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْخَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ

مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ

بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا

عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ

لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا

(١) انظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٤٥ .

(٢) المفردات : ٥٣٨ ، مادة (هدد) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي الشاعر ، توفي سنة ١٩٦ هـ .

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٠ / ٢٤٨ .

يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٨﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى
عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْأَمْلُؤُا إِلَيَّ أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ
﴿٧٠﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٧١﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْأَمْلُؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٧٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْأَمْلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَئِنْ مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا
ءَاتَنِى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَحْنُودٌ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧٨﴾
قَالَ يَتَأْتِيَ الْأَمْلُؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ
عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿٨٠﴾ وَلَئِنْ عَلَيَّ
لَقُوَىٰ أَمِينٌ ﴿٨١﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّى

لِيَبْتَلُونِي ۖ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْمِئِينَ ﴿١٣﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٤﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴿١﴾ .

المطلب الثالث : بداية القصة :

قال تعالى (٢) : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ ۚ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ لَا عَذَابَ لَهُ ۖ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْخَنَّهُ ۚ أَوْ لِيَأْتِنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ ﴾ ﴿١٧﴾ .

وتتضح أهمية الطير في هذه الآية من خلال ما يلي :

- التفقد هنا كان للطير دون غيرها ، يدل عليه ظاهر الآية وذلك لأهمية دورها في جيش سليمان ، وقد جاء التفقد بعد مروره ^(١) على وادي النمل .

(١) سورة النمل : ٢٠ - ٤٤ .

(٢) الطبري : ١٨ / ١٤٣ . القرطبي : ١٣ / ١١٩ . الرازي : ٢٤ / ١٨٨ . زاد المسير : ٦ / ١٦٣ .

روح المعاني : ١٩ / ١٧ . في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٢ .

(٣) سورة النمل : ٢٠ .

- تفقد سليمان الطير بنفسه ولم يدع هذه المهمة لأحد غيره على الرغم من ضخامة قدراته وإمكاناته ، بل فقد طائراً من صغار الطير وهو الهدهد ، وفي هذا العمل (للقائد) سليمان عليه السلام : يقظة ، ودقة ، وحزم .

- شدة العقوبة التي رتبها سليمان على غياب الهدهد دون غيره من (الغائبين) كما يظهر من الآية وما ذلك إلا لإدراك سليمان أهمية الحزم التام مع هذه الأمة بالذات (أمة الطير) . ولعل فيه دليلاً على أن هذه الأمة المعنية (بالطيران) لا يمكن أن يستفاد منها الفائدة المرجوة إلا (بانضباطيتها) التامة .

﴿ وتفقد الطير ﴾ الطير هنا اسم جنس لكل ما يطير ^(١).

والفقد عدم الشيء بعد وجوده ، والتفقد : التعهد ، لكن حقيقة التفقد تعرّف فقدان الشيء ليعرف بذلك أن الشيء لم ينقص ، والتعهد : تعرّف العهد المتقدم ^(٢) .

ومن خلال أقوال المفسرين في سبب فقد سليمان للهدهد نلاحظ عدم اعتبار عدد منهم لجندية الطير وأنها جند في جيش سليمان ، وإن اعتبرها بعضهم في أحسن الحالات أخذاً بظاهر الآية فإنه يستبعد أن يتعدى دورها تظليل سليمان من الشمس ، ^(٣) ، مع أن ظاهر الآية هنا يدل على أن التفقد كان للطير دون غيره، و(أل) في (الطير) توحى بشمولية هذا التفقد . إلا أن عدداً من

(١) فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣١ .

(٢) المفردات : ٣٨٣ ، مادة (فقد) . وانظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٤٥ .

(٣) قال صديق حسن خان عند قوله تعالى : (علمنا منطق الطير) : " وإنما ذكر الطير لأنه كان جنداً من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس ، فخص بالذكر لكثرة مداخلة " فتح البيان في مقاصد القرآن : ٧ / ٧٤ . وقال في موضع آخر : " وكانت الطير تصحبه في سفره وتظله بأجنحتها " فتح البيان : ٧ / ٧٩ .

المفسرين قد استبعد فعلا إمكانية قيام الطير بأدوار قتالية أو مساندة في جيش سليمان عليه السلام . مع أن التفقد لهؤلاء الجند بالذات كان دائماً ، كما ذكر ذلك ابن كثير وعزاه إلى ابن إسحاق ، فقال : " كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير " ^(١) .

والذي ينبغي الالتفات إليه هنا لب الموضوع وجوهره لا فرعه وعرضه ، ولا يعيننا السبب الذي من أجله افتقد سليمان الهدهد لأن هذا لم يكن إلا لأن صفة التفقد كانت صارمة ودقيقة وإلا لما علم به ، وقد فقد سليمان عليه السلام في هذا الإجراء القيادي الإداري الصارم المفاجيء طيراً ليس من خيار الطير ولا أشهرها .

ومما يؤكد ضرورة مثل هذا الإجراء لمثل هذه الأمة ما كشفه الله تعالى لنا من خير الهدهد لاحقاً ، حيث وقفنا منه على أمور عظيمة ، أتى بها الهدهد لا تدل على أن فاعلها هدهد من نوع خاص - وقد ذكر ذلك بعض المفسرين - بقدر ما تدل على الإمكانات العظيمة التي أودعها الله تعالى في هذه الأمة (أمة الطير) ، والتي تستوجب مثل هذا الحرص والمتابعة من ملك عنده من الجنود والإمكانات ما كان يُظنّ معها عدم تعويله عليها .

قال الرازي ^(٢) موجزاً أقوال المفسرين في ذلك : " اختلفوا فيما لأجله تفقده على وجوه :

أحدها : قول وهب أنه أخل بالنوبة التي كان ينوبها فلذلك تفقده .

(١) تفسير ابن كثير : ٦ / ١٩٦ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٨٩ .

وثانيها : أنه تفقده لأن مقاييس الماء كانت إليه ، وكان يعرف الفصل بين قريه وبعيده ، فلحاجة سليمان إلى ذلك طلبه وتفقده . قاله مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره ^(١) .

وثالثها : أنه كان يظله من الشمس " ^(٢) .

قال الطبري : " والله أعلم بأي ذلك كان، إذ لم تأتنا بأي ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بعد الماء " ^(٣) .

والذي يظهر هنا أن التفقد جاء بعد مهمة وادي النمل وكان خاصاً بالطير دون غيرها لأهميتها لأن الطير كانت في المقدمة فاحتمال الخسائر فيهم أكبر من غيرهم ، أو لخفتها وسرعة حركتها ورغبتها في الانفلات في الفضاء ، سواء كان هذا التفقد أثناء المهمة التي مروا خلالها بوادي النمل أو بعدها ، ولم يذكر من أنواع الجند سواهم ، ومعلوم أنه لا يفقد ويفقد إلا الأكثر استعمالاً ، والغائب بعد المهمة مفقود .

ومما يدل على ذلك أيضاً شدة العقوبة التي رتبها سليمان على مخالفة الهدهد وتصاعدها حيث قال عليه السلام : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحَنَّهُ ﴾ ، قال الشوكاني : " وفيه دليل على أن العقوبة على قدر الذنب لا على قدر

(١) انظر : تفسير ابن كثير : ٦ / ١٩٥ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٨٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١٩ / ١٤٤ .

الجسد " (١) . ولا يخفى ما في الحزم والشدة من ردع لمن تسول له نفسه مثل ذلك . وجاءت لام القسم المؤكدة ونون التوكيد في (لأعذبه) و (لأذبحه) ليعلم الباقيون أنه حتى في حالة عدم عودة الهدهد فإن هذا هو جزاؤه ليرتدعوا .
﴿ من الغائبين ﴾ فيه تثبت من سليمان عليه السلام ، ولعل فيه دليلاً على أن الغائبين عديدون ، ولكن عقوبة الغياب في حق الطير أشد من غيرها ، ففيه توعدهم للهدهد من بين الغائبين من الطيور .

﴿ لأعذبه ﴾ عاقبه ردعاً لغيره لئلا يلحق بالفساد غيره فيدخل الفساد في الجند (٢) ، وقد أكد كلامه بلام القسم ونون التوكيد ليعلم الجند ذلك حتى في حال عدم رجوع الهدهد ليكون زاجراً لباقي الجند عن أن يفعلوا مثل ما فعل .
﴿ أو ليأتيني ﴾ النون وتأكيد بيا المتكلم فيه دليل على اهتمامه الشخصي وأنه سيكون متابعاً بنفسه هذا الأمر .

وفيه دليل على أنه على الرغم من أن شدة الغضب قد بلغت بسليمان عليه السلام أوجهاً إلا أن ذلك لم يمنعه من العدل والإنصاف .

﴿ بسلطان مبين ﴾ بعذر بين واضح ، والسلطان : الحجة ، والبيّنة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة . وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره ، كقوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) ، وقد تقدم .

(١) فتح القدير للشوكاني : ١٣٢ / ٤ .

(٢) يؤخذ منه جواز عقاب الجندي إذا خالف ما عيّن له من عمل أو تغيب عنه .

(٣) سورة آل عمران : ١٣٨ .

المطلب الرابع : إمكانات الهدهد وقدراته:

أولاً : قوله تعالى ^(١) : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِمَ

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٦﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) .

وسيتضح من هذه الآيات وما بعدها ما حباه الله تعالى للهدهد من صفات حري بنا أن نتأملها وندقق النظر فيها لنرى بعد ذلك دون تحمل أو مبالغة ما يمكن أن نفيد به أقرب الناس لطبيعة عمل هذه الأمة وهم العاملون في مجال الطيران . فالمهمة التي قام بها الهدهد في هذه الآية مهمة استطلاعية (RECONNAISSANCE) ويطلق عليها اختصاراً (RECEE) وقد أدى الهدهد مهمته هذه بنجاح تام ، ومعلوم أن الحملات الجوية القتالية الحالية لا يمكن أن تنجح بدون استخبارات جوية ، فهي جزء لا يتجزأ من الطيران ، وكلما كانت الاستخبارات الجوية أقوى (يقينية) كانت مهماتها وفعاليتها أكثر تأثيراً .

وعلى الرغم من أن الهدهد لا يمثل خيار الطير وأقواها ، إلا أننا ومن خلال هذه الآيات فإننا نجد أنفسنا أمام طائر عجيب ، صاحب إدراك وذكاء وإيمان ، وبراعة في عرض النبا ، ويقظة إلى طبيعة عمله .

لقد أطلعنا الله تعالى في هذه الآية على بعض صفات وإمكانات هذه الأمة (أمة الطير) هذه الإمكانيات التي عجب منها بعض المفسرين ^(٣) فحملتهم على القول بأن هذا هدهد من نوع خاص وليس من عامة الهداهد .

(١) الطيري : ١٨ / ١٤٣ . القرطي : ١٣ / ١١٩ . الرازي : ٢٤ / ١٨٨ . زاد المسير : ٦ / ١٦٣

روح المعاني : ١٩ / ١٧ . في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٢ .

(٢) سورة النمل : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) منهم سيد قطب في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٣٦ .

قال الطبري : " وإنما صار هذا الخير للهدهد عذراً وحجة عند سليمان درأ به ما كان أوعد به لأن سليمان كان لا يرى في الأرض أحداً له مملكة معه ، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً حُبِّب إليه الجهاد والغزو ، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره ، وقوم كفره يعبدون غير الله له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل ، والثواب العظيم في الآجل ، وضم مملكة لغيره إلى ملكه ، حقت للهدهد المَعْدرة ، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان " (١) .

يفسر لنا مطلع هذه القصة وما ظهر فيها من قدرات عجيبة عند هذا الطائر شيئاً من اهتمام سليمان عليه السلام واحتفائه بأمة الطير . ومما ظهر من قدرات الهدهد ما يلي :

* اجتهد واع وتوقيت عجيب تدل على مرونة مهام الطير ومجالاته الواسعة ومن يعي في هذا الزمن مهمات ما يسمى (الاستطلاع الجوي) وأهمية دوره لدى الدول يدرك هذا الأمر جيداً .

* ضخامة النتائج التي حققها الهدهد في هذا الاجتهاد فقد دل سليمان على أمر لم يكن يعلمه على الرغم من ضخامة إمكانياته عليه السلام ، فالذي أتى به الهدهد (نبأ عظيم) . كما أن أحاطته كانت تامة بما جاء به كما في قوله تعالى : (أحطت بما لم تحط به) .

* حسن تقديره للأمور فلم يكن ذهاب الهدهد وغيابه إلا لمصلحة عظيمة قدرها فأحسن تقديرها ، ولم يكن لرغبات وأهواء شخصية ، فدل قيادته على مجال عظيم من مجالات الخير والإصلاح .

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ١٤٨ .

* السرعة والدقة في أدائه لمهمته وهما ركيزتان أساسيتان في مهمات

الطيران يبدو ذلك في قوله : (فمكث غير بعيد) وقوله : (نبأ يقين) .

* ثقة الهدهد التامة بنفسه ، وذلك من خلال حديثه مع نبي الله سليمان

عليه السلام في قوله تعالى : (أحطت بما لم تحط به) .

* ولاؤه التام لقيادته ، فرحلته هذه لم تكن لأغراض شخصية وإنما ذهب

لمصلحة القيادة ، يدل عليه قوله (وجئتك) فالجئي لأجل سليمان كما

أن الذهاب لأجله .

* صدقه وأمانته في ذكر الأماكن التي ذهب إليها في قوله : (من سبأ)

ويمكن اعتبار ذلك ضمن ما يسمى بـ (الملاحاة الجوية) .

* رسوخ القيم عنده وذلك في قوله : (إني وجدت امرأة تملكهم) ويظهر

أنها القضية الأولى التي لم يتقبلها . فلم ينخدع بما وجد عليه الأمم

الأخرى من أمور تخالف ما اعتاد عليه .

* شمولية النظرة ودقتها في قوله : (وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)

ولعل في هذا دليل على أن التقييم الدقيق للواقع ينبع من الخارج لا من

الداخل .

﴿ فمكث ﴾ المكث : البقاء في المكان وملازمته زمناً ما . وأطلق هنا على

البطء لأن الهدهد لم يكن ماكثاً في مكان ولكنه كان يطير ويتنقل ، وإطلاق

المكث على البطء ، لأن المكث يستلزم زمناً . ولعل فيما تلاها تفسير لسبب

هذا البطء وتسويغ له .

﴿ غير بعيد ﴾ أي مكث زمناً غير بعيد . أو مكث في مكان غير بعيد ، "وكلا

المعنيين يقتضي أنه رجع إلى سليمان بعد زمن قليل " (١) ، و (غير) تفيد دفع

التوهم ، أو يكون معناها كما قال ابن عاشور : يوشك أن يكون بعيداً.

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٤٨ .

ولعل لهذه اللفظة علاقة بطبيعة مهمات الطير ، وأن البعيد على غيرها قريب لها ، أو أنه حتى لو ابتعد الطير عن مقره فإنه يعتبر قريباً لإمكاناته العظيمة، لا سيما وقد ثبت بعد ذلك أن إبطاء الهدهد اليسير هذا كان له نتائج كبيرة وفوائد جمة .

والفاء للترتيب والتعقيب في (فمكت) و (فقال أحطت) تشير إلى سرعة الهدهد وجديته فقد شرع في بيان مهمته مباشرة دون إبطاء .
والسبع والقرب حقيقتهما من أوصاف المكان ، ويمكن تشبيه الزمن القصير بالمكان القريب كما قال تعالى : (وما قوم لوط منكُم ببعيد) ^(١) .

﴿ أحطت ﴾ الإحاطة تقال على وجهين : أحدهما : في الأجسام نحو: أحطت بمكان كذا ، والثاني : في العلم نحو قوله : ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ^(٢) وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ^(٤) .

وظاهر السياق لا ينفي أحد الأمرين ، فالهدهد أحاط بالمكان جسماً وأحاط به علماً كما اتضح من بيانه لاحقاً ، حيث جمع لسليمان " أصول الجغرافية السياسية من صفة المكان والأديان وصبغة الدولة وثروتها " ^(٥) .
وقد ضمن الهدهد بهذه المقدمة إصغاء هذا الملك الحازم له .

(١) سورة هود : ٨٩ .

(٢) سورة الطلاق : ١٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٢٠ .

(٤) سورة هود : ٩٢ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٤ .

﴿ وجئتكم ﴾ المجيء أعم من الإتيان لأن الإتيان مجيء بسهولة ، والإتيان يقال باعتبار القصد وإن لم يحصل الغرض منه ، وأما المجيء فيقال اعتباراً بالحصول ، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ^(١).

﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ ﴾ أي استحضرتك لك ، فذهابه لأجل سليمان كما أن مجيئة لأجله ، ولم يذهب لغرض خاص به .

﴿ من سبأ ﴾ فيه تحديد للمكان الذي ذهب إليه ، ويظهر من خلاله معرفته بالجغرافية الطبيعية والسياسية ، وسبأ هم " حمير وهم ملوك اليمن " ^(٢).

﴿ نبأ ﴾ وفيه مع (سبأ) جناس مزدوج ، وجناس في الخط .

وفرق بين الخبر والنبأ ، فالنبأ : هو الخبر الخطير الشأن ^(٣) ، فالخبر هو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر ^(٤) ، وأما النبأ : فهو خبر : ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعري عن الكذب " ^(٥) .

﴿ يقين ﴾ لا شبهة فيه ، ومعلوم أن السرعة في مهمات الطيران لا بد معها من الدقة ليتم تأدية المهام على أكمل وجه .

(١) المفردات في غريب القرآن : ١٠٤ ، مادة (جاء) .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٠ .

(٣) فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن : ١٤١ ، مادة (خير) .

(٥) المفردات في غريب القرآن : ٤٨١ ، مادة (نبأ) .

﴿إني﴾ إدخال (إن) هنا لأهمية الخبر .

﴿وجدت﴾ وعبر هنا عن التمكن من الشيء بالوجود كقوله تعالى :

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١).

فالهدد هنا وجد ببصره وبصيرته " فقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار

لحالها بالبصيرة ، ولولا ذلك لم يكن له أن يحكم بقوله : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا

يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ

عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٢) " .

﴿امرأة تملكهم﴾ " فلم يكن معهوداً في بني إسرائيل أن تكون المرأة

ملكاً " ^(٣) . وابتدأ بـ (امرأة) وجاء بها نكرة للتعجب ، فلم يقل وجدتهم

تملكهم امرأة . قال الحسن البصري : " وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة

سبأ " ^(٤) .

﴿وأوتيت﴾ مبني للمجهول علماً منه بأن كل ما عندها من الله تعالى .

﴿من كل شيء﴾ تهويلاً لما رأى من أمرها ، والشيء هو الذي يصح أن يُعلم

ويُخبر عنه ^(٥) .

(١) سورة التوبة : ٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٥١٢ ، مادة (وجد) .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٢ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٠ .

(٥) المفردات في غريب القرآن : ٢٧١ ، مادة (شيء) .

﴿ ولها عرش ﴾ العرش في الأصل شيء مسقف وجمعه عروش ، وسمي مجلس السلطان عرشاً باعتبار علوه . والمراد هنا " سرير كريم حسن الصنعة من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ " ^(١) . وخصه بالذكر لزيادة عظمته .

﴿ عظيم ﴾ العظيم في الأعيان لما كانت أجزاؤه متصلة ^(٢) ، والكثير يقال في المنفصلة ^(٣) ، والعظيم يجمع بين عظمة القدر والنفاسة وبين ضخامة الهيكل والذات ^(٤) .

ثانياً : قال تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٥) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ^(٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ ^(٧) .

ويظهر من خلال هذه الآيات من صفات الهدهد ما يلي :

* علمه بالله تعالى وإيمانه به .

* علمه بما يرضيه جل وعلا من ألفاظ الحمد والثناء ، حيث قال : (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) ، وقد وجه الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٨) .

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ١٤٨ .

(٢) قال الراغب : قد يقال في المنفصل عظيم نحو : جيش عظيم ومال عظيم وذلك في معنى الكثير .

المفردات : ٣٣٩ .

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٣٩ ، مادة (عظم) .

(٤) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٣ بتصرف .

(٥) سورة التوبة : ١٢٩ .

* وضوح الرؤية ويتبين ذلك من خلال معرفته بالشیطان وترينه وإدراكه
لأساليبه وطرقه في الإضلال قال تعالى : ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

* شكر نعمة الله عليه من خلال قوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
مُخْرِجُ الْخَبَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

* مراقبته لله في السر والعلن من خلال قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴾ .

﴿ وجدتها وقومها ﴾ القوم: جماعة الرجال في الأصل دون النساء ^(١) كما
قال تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ
مِّنْ نِّسَاءٍ ﴾ ^(٢) ، ففرق بين المرأة والرجال من قومها ، ولعل هذا يرجع ما
أسلفته من أن الهدهد لم يتقبل ولاية المرأة ابتداءً .
وكرر فعل وجدت بقوله: (وجدتها وقومها) إنكاراً منه لفعلهم هذا ، (ألا
يسجدوا لله) .

﴿ من دون الله ﴾ لما هو أدنى من الله الذي لا مثيل له ولا شبيه .
﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ يقال : زانه كذا وزينه : إذا أظهر حسنه
إما بالفعل أو بالقول ، ومع أن الله تعالى قد نسب التزيين إلى نفسه في مواضع
منها ما ورد في أول هذه السورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) المفردات في غريب القرآن : ٤١٨ ، مادة (قوم) .

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿١﴾ ، إلا أن الهدهد هنا نسب
التزين للشيطان تنزيها لله جل جلاله ، كما نسب الخضر حرق السفينة
والقتل لنفسه في قوله ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (٢) وقوله ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ
أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا
رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ ﴿٣﴾ بينما جعل سبب بلوغهما الأشد هو الله جل جلاله فقال
﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ (٤).

﴿ فصدّهم ﴾ أي صرفهم ومنعهم .

﴿ عن السبيل ﴾ معرف بـ (أل) لأنه السبيل المعهود الذي لا سبيل غيره .
﴿ ألا يسجدوا لله ﴾ إما لأن علة ضلالهم عدم سجودهم فيكون المعنى : أن
سبب ضلالهم عدم سجودهم ولو سجدوا لاهتدوا .
أو زين لهم الشيطان لئلا يسجدوا فيكون المعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله
لتتخلصوا من أسر الشيطان ، وقد قرئت : ألا يا اسجدوا لله ، ألا الاستفتاحية
ويا للدناء (٥) .

﴿ الذي يخرج الخبء ﴾ يقال ذلك لكل مدّخر مستور (٦) . " وأطلق هنا
على اسم المفعول أي المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء " (٧) وإبقاء

(١) سورة النمل : ٤ .

(٢) سورة الكهف : ٧٩ .

(٣) سورة الكهف : ٨٠-٨١ .

(٤) سورة الكهف : ٨٢ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦١ . وانظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٩ .

(٦) المفردات في غريب القرآن : ١٤٢ ، مادة (خبء) .

(٧) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٥ .

(الخباء) على عمومته أولى من تحديد معنى خاص له كما يذهب إليه عدد من المفسرين ، فالله تعالى يخرج كل ما في عالم الغيب إلى عالم الشهادة أياً كان هذا الأمر . وقد ورد هذا عن ابن عباس قال : " يعلم كل خبيثة في السماء والأرض " ^(١) .

﴿ في السموات والأرض ﴾ وهي منتهى مشاهدات الهدد، وقدم السموات على الأرض .

﴿ ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴾ ما تسترون ، " وهو مؤذن بعموم صفة العلم " ^(٢) " وقدم (تخفون) لمناسبته لما قبله من الخباء " ^(٣) ، ولأن أكثر المخالفة والعصيان تكون في الخفاء .

﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ فيه دليل على تعلقه بالله جل جلاله فقد انبهر من عظم عرش ملكة سبأ حيث قال (ولها عرش عظيم) ولكنه ذكر في نهاية كلامه بأن عرش الله تعالى أجل وأعظم ، وذلك بتعريفه له بـ : (أل) فقال : ﴿ العرش ﴾ و ﴿ العظيم ﴾ للدلالة على الكمال ، ولأنه مذهب ولم يعلم بعد ما سيقضي الملك في أمره به لمح إلى أن الله تعالى هو الملك رب العرش العظيم .

ثالثاً : قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

وفي هذه الآية دلالة على عظيم حكمة سليمان عليه السلام وتأنيه وحسن قيادته وتلطفه في تعامله مع مَنْ تحته . وقد كان نظره عليه السلام عملاً كما سيأتي .

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩ : ٢٥٥ .

(٣) روح المعاني : ٢٠ / ١٩٢ .

وفيها " قبول الوالي عذر رعيته ودرء العقوبة عنهم وامتحان صدقهم فيما اعتذروا به " ^(١).

﴿ سَنَنْظُرُ ﴾ النظر هنا هو التأمل والفحص ، ويأتي النظر بمعنى : " تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته . واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة " ^(٢). والسين هنا للتأكيد .

﴿ أَصَدَقْتُ ﴾ وبدأ به لأن الأصل إحسان الظن .

﴿ أَمْ كُنْتُ ﴾ أدخلت في نسبته للكذب لأنها تفيد الرسوخ في الوصف بأنه كائن عليه ^(٣).

﴿ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ أبلغ من قوله : أَمْ كَذَبْتُ لأن المعنى : " من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقا لهم " ^(٤) ، أو عادة .

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ

فَأَنْظُرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٥) .

وهذا هو بيان النظر الذي وعد به سليمان عيه السلام في قوله : ﴿ سَنَنْظُرُ ﴾ وقد ذهب العلامة إلى التحقق منه عمليا . فهذه المهمة ستكشف صدق هذا الخبر من كذبه ، ويمثل هذا البيان أحد جوانب شخصية القيادة ومتطلبات العمل العسكري ، حيث يلزم اختبار المعلومات الاستطلاعية ، والتأكد من صدقها قبل الإقدام على التعامل مع مقتضياتها .

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٤٥٩ . وروح المعاني : ١٩ / ١٩٣ .

(٢) المفردات : ٤٩٧ ، مادة (نظر) .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٦ .

(٤) فتح القدير : ٤ / ١٣٦ .

(٥) سورة النمل : ٢٨ .

وهنا تلقى الهدهد أمراً (عملياتياً) أو (أمر عمل) (AIR
TECHNICAL ORDER) ويطلق عليه اختصاراً (ATO) من فائده
سليمان ~~الملك~~، هذا الأمر محدد المعالم تحديداً واضحاً دقيقاً لا لبس فيه ، وقد
تضمن هذا الأمر أربعة أمور :

الأول : اذهب بكتابي هذا .

الثاني : فألقه إليهم .

الثالث : ثم تول عنهم .

الرابع : فانظر ماذا يرجعون .

﴿ اذهب بكتابي هذا ﴾ قال ابن كثير : ﴿ قالت يا أيها الملأ إني ألقى إلي
كتاب كريم ﴾ تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون الطائر أتى به فألقاه
إليها ثم تولى عنها أدباً ، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم
إلى ذلك " (١) . وفيه دلالة " على قدر اختيار الكتب " (٢) ، وقد ذكر ابن
العربي في سبب تسميتها للكتاب بالكريم ستة أقوال الأول :

لختمه ، وكرامة الكتاب ختمه ، الثاني : لحسن ما فيه من بلاغة وإصابة
معنى ، الثالث : كرامة صاحبه ، لأنه ملك ، الرابع : كرامة رسوله لأنه طائر ،
وما عهدت الرسل منها ، الخامس : لأنه بدأ فيه ببسم الله ، السادس : لأنه بدأ
فيه بنفسه ، ولا يفعل ذلك إلا الجلّة " (٣) .

وفيه دليل على الدور الكبير الذي يضطلع به الطير ، وقد تسبب في إرعاب
هذه الملكة لما تولى المهمة بنفسه .

(١) ابن كثير : ٦ / ١٩٩ .

(٢) كتاب الحيوان : ١ / ٩٧ .

(٣) انظر : أحكام القرآن : ٣ / ١٤٥٩ .

ولقد " كان عند سليمان من يبلغ الرسالة بتمامها من عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب أهدى وأنبل وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب وقالت ملكة سبأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ .

﴿ فَأَلْقَاهُ ﴾ الإلقاء : طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه .

﴿ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ تَوَلَّى إذا عَدَّى بـ (عن) اقتضى معنى الإعراض وترك قربه وقد يكون التولي بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والانتصار^(١) كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾^(٢) .

﴿ فَانْظُرْ ﴾ النظر هنا هو التأمل والفحص ، ويأتي النظر بمعنى : " تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته . واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة " ^(٣) .

قال الآلوسي : " النظر بمعنى التأمل والتفكير . . . وقيل : النظر بمعنى الانتظار كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْظِرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ . . . والظاهر أنه بمعنى التأمل ، وأن المراد فتأمل وتعرف ماذا يرد بعضهم على بعض من القول وهذا ظاهر في أن الله تعالى أعطى الهدى قوة يفهم بها ما سمعه من كلامهم " ^(٤) .

﴿ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي رجع الجواب عن الكتاب ، من قبول أو رفض .

(١) المفردات : ٥٣٤ ، مادة (ولى) .

(٢) سورة الأنفال : ٢٠ .

(٣) المفردات : ٤٩٧ ، مادة (نظر) .

(٤) روح المعاني : ١٩ / ١٩٣ .

الخاتمة :

لقد تبين من خلال البحث عظمة خلق الطير ، وعظمة مهماته ، ودور الطير كجند يعتمد عليه في الحروب وتمثل ذلك فيما يلي :

- ١- حمايته بإذن الله للبيت الحرام وتدمير أصحاب الفيل .
- ٢- كونه مظهراً من مظاهر شد الله تعالى لملك نبي الله داود عليه السلام.
- ٣- احتفاء سليمان بالطير في بيانه للناس بأن الله تعالى علمه منطق الطير .
- ٤- ذكر بعض المهمات المحددة التي قام بها الطير في مملكة سليمان عليه السلام ، ومنها :

١- حشره لها عند مسيره مروراً بوادي النمل ، وقد كان له مكانته في هذه المهمة .

٢- تفقد الملك القائد النبي سليمان عليه السلام للطير لأهميته حيث قال تعالى : (وتفقّد الطير) .

٣- المهمات التي قام بها الهدهد خير قيام ، وكانت سبباً في دخول أمة عظيمة في الإسلام . ومن هذه المهمات :

* مهمته الاستطلاعية في اليمن . وقد حقق خلالها أعلى درجات الدقة في الاستطلاع .

* طيرانه لنقل الكتاب إلى ملكة اليمن .

كل ذلك وغيره مما ورد في ثنايا البحث يدل على أن للطيران دوراً فاعلاً في حياة الملوك والأمم التي سخر الله لها أمة الطير . وأن الحقائق المتعلقة بأهمية

سلاح الطيران ودوره الرئيس في الحروب مما أدركه المتأخرون ليست حقائق جديدة ، فقد أشار إليها القرآن قبل قرون عديدة . ولقد صدق الله إذ يقول : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ثبت المراجع:

- ١- أحكام القرآن للخصاص : أحمد بن علي — ٣٧٠ هـ — تحقيق : محمد الصادق قمحاوي دار إحياء التراث العربي — بيروت — ١٤١٢ هـ —
١٩٩٢ م . أخرى : دار الكتاب العربي — بيروت — مصورة عن الطبعة الأولى —
مطبعة الأوقاف الإسلامية — ١٣٣٥ هـ
- ٢- أحكام القرآن لابن العربي : محمد بن عبد الله — ٥٤٣ هـ — تحقيق : علي محمد البجاوي — دار المعرفة ودار الجليل — بيروت — ١٤٠٧ هـ —
١٩٨٧ م .
- ٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : : أبي عمر يوسف بن عبد الله المالكي — ٤٦٣ هـ — بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر :
أحمد بن علي العسقلاني — ٨٥٢ هـ — مطبعة السعادة — مصر — ط ١ —
١٣٢٨ هـ .
- ٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير : علي بن محمد — ٦٣٠ هـ —
تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور — دار الشعب .
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي — ٨٥٢ هـ —
مطبعة السعادة — مصر — ط ١ — ١٣٢٨ هـ .
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني — ١٣٩٣ هـ — المطابع الأهلية للأوفست — الرياض —
المملكة العربية السعودية — توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- ٧- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان : محمد بن يوسف الأندلسي — ٧٥٤ هـ —
عناية صدقي محمد جميل — دار الفكر — بيروت — ١٤١٣ هـ —

- ١٩٩٢ م . أخرى : دار الفكر — بيروت — ط ٢ — ١٤٠٣ هـ —
١٩٨٣ م .
- ٨- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : أحمد بن علي — ٤٦٣ هـ — دار الكتب العلمية — بيروت .
- ٩- التاريخ الكبير للبخاري : أبي عبد الله إبراهيم بن إسماعيل — ٢٥٦ هـ .
بدون .
- ١٠- التحرير والتنوير لابن عاشور : محمد الطاهر — الدار التونسية — تونس —
١٩٨٤ م .
- ١١- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأثير الدين أبي حيان الأندلسي —
٧٤٥ هـ — بتحقيق سمير طه المجذوب المكتب الإسلامي — بيروت — ط ٢ —
١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- ١٢- تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن
محمد بن الجوزي أبو الفرج — ٥٧٩ هـ — بتحقيق د . علي حسين البواب —
مكتبة المعارف — الرياض — ط ١ — ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م .
- ١٣- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا القلموني
الحسيني — ١٣٥٤ هـ — دار المعرفة — بيروت — ط ٢ — ١٣٩٣ هـ —
١٩٧٣ م .
- ١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير : أبي الفداء إسماعيل بن عمر — ٧٧٤ هـ —
تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا — مطبعة
الشعب — القاهرة — مصر . أخرى : دار الفكر — بيروت .
- ١٥- التفسير الكبير للرازي : محمد بن عمر أبي عبد الله — ٦٠٦ هـ — دار
إحياء التراث العربي — ط ٣ — بيروت .

- ١٦- تهذيب التهذيب لابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني — ٨٥٢ هـ —
 مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية — حيدر آباد الدكن — الهند —
 ١٣٢٥ هـ — . أخرى : دار الفكر — بيروت — ط ١ — ١٤٠٤ هـ —
 ١٩٨٤ م
- ١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري : أبي جعفر محمد بن جرير —
 ٣١٠ هـ — تحقيق محمود محمد شاكر ، وتخرّيج أحمد محمد شاكر — دار
 المعارف — القاهرة — مصر — ط ٢ . أخرى : دار المعرفة - بيروت - الطبعة
 الرابعة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٨- الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى الترمذي — ٢٧٩ هـ — تحقيق أحمد محمد
 شاكر — دار إحياء التراث العربي — بيروت .
- ١٩- الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل البخاري — ٢٥٦ هـ —
 المكتبة الإسلامية — إستانبول — تركيا . أخرى : دار ابن كثير ، اليمامة -
 بيروت - ط ٣ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . أخرى : مع فتح الباري شرح
 صحيح البخاري — لابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي — ٨٥٢ هـ —
 ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي — إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب —
 دار المعرفة — بيروت .
- ٢٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : محمد بن أحمد — ٦٧١ هـ — دار إحياء
 التراث العربي — بيروت — ١٩٦٥ — ١٩٦٦ م . أخرى : دار الكتب
 العلمية — بيروت — ط ١ — ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م
- ٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله الأصفهاني —
 ٤٣٠ هـ — دار الكتب العلمية — بيروت .
- ٢٢- الحيوان للجاحظ : عمرو بن بحر الجاحظ — ٢٥٥ هـ — بتحقيق وشرح
 عبد السلام محمد هارون — المجمع العلمي العربي الإسلامي — بيروت — دار
 إحياء التراث العربي — بيروت .

- ٢٣- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي : أحمد بن يوسف —
 ٧٥٦ هـ — تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط — دار القلم — دمشق —
 سوريا — ط ١ — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- ٢٤- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
 الجوزي أبي الفرج — ٥٧٩ هـ — المكتب الإسلامي — دمشق وبيروت —
 ط ١ — ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .
- ٢٥- روائع البيان تفسير آيات الأحكام- لمحمد بن علي الصابوني- مكتبة الغزالي
 - بدمشق ومؤسسة مناهل العرفان بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ -
 ١٩٨٠ م .
- ٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي : أبي الشاء
 محمود بن عبد الله — ١٢٧٠ هـ — إدارة الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث
 العربي — بيروت — ط ٤ — ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- ٢٧- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث — ٢٧٥ هـ — إعداد وتعليق عزت
 عبيد الدعاس وعادل السيد — دار الحديث — بيروت — ط ١ — ١٣٨٨ هـ —
 ١٩٦٩ م . أخرى : مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد — دار
 الفكر — بيروت .
- ٢٨- سنن الدارقطني : علي بن عمر — ٣٨٥ هـ — تحقيق السيد عبد الله هاشم
 يماني المدني — دار المحاسن للطباعة — القاهرة — مصر — ١٣٨٦ هـ —
 ١٩٦٦ م . أخرى : دار المعرفة — بيروت — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .
- ٢٩- سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن — ٢٥٥ هـ — تحقيق
 السيد عبد الله هاشم المدني — حديث أكاديمي — نشاط آباد وفيصل آباد —
 باكستان — ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م — توزيع رئاسة إدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — المملكة العربية السعودية . أخرى :
بتحقيق فواز أحمد زمري وخالد السبع العلمي — دار الكتاب العربي —
بيروت — ط ١ — ١٤٠٧ هـ .

٣٠- السنن الكبرى للبيهقي : لأبي بكر أحمد بن الحسين — ٤٥٨ هـ — دار
المعرفة — بيروت — مصور عن مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية —
حيدر آباد الدكن — الهند — ١٣٤٤ هـ . أخرى : بتحقيق محمد عبد
القادر عطا — مكتبة دار الباز — مكة المكرمة — ١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م .

٣١- سنن النسائي : أحمد بن شعيب — ٣٠٣ هـ — مع شرح السيوطي
وحاشية السندي — عناية عبد الفتاح أبو غدة — دار البشائر الإسلامية —
بيروت — ط ٢ — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ . أخرى : بتحقيق د . عبد
الغفار البنداري وسيد كسروي حسن — المكتبة العلمية — بيروت — ط ١ —
١٤٠٦ هـ .

٣٢- سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني — ٢٧٥ هـ — تحقيق محمد فؤاد
عبد الباقي — دار الفكر — بيروت . أخرى : بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
— دار الفكر — بيروت .

٣٣- سير أعلام النبلاء للذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد — ٧٤٨ هـ —
تخريج وإشراف شعيب الأرناؤوط — مؤسسة الرسالة — بيروت — ط ٢ —
١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

٣٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي : أبي الفلاح عبد
الحي بن أحمد — ١٠٨٩ هـ — دار إحياء التراث العربي — بيروت .
أخرى : بتحقيق محمود الأرناؤوط ، وإشراف عبد القادر الأرناؤوط — دار
ابن كثير — دمشق وبيروت — ط ١ — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .

- ٣٥- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان البُستي — ٣٥٤ هـ — المطبوع مع الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي — تقديم وضبط كمال يوسف الحوت — دار الكتب العلمية — بيروت — ط ١ — ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
- ٣٦- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج — ٢٦١ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — المكتبة الاسلامية — إستانبول — تركيا . أخرى : مع شرح صحيح مسلم للنووي — دار إحياء التراث العربي — بيروت .
- ٣٧- الطبقات الكبرى لابن سعد : أبي عبد الله محمد بن سعد البصري — ٢٣٠ هـ — دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت — ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .
- ٣٨- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي : محمد بن أحمد — ٨٣٢ هـ — تحقيق فؤاد سيد — مؤسسة الرسالة — بيروت — ط ٢ — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- ٣٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود : لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبي الطيب — دار الكتب العلمية — بيروت — ط ٢ — ١٤١٥ هـ . ك
- ٤٠- غريب القرآن وتفسيره لليزيدي : عبد الله بن يحيى بن المبارك أبي عبد الرحمن — ٢٣٧ هـ — بتحقيق وتعليق محمد سليم الحاج — عالم الكتب — بيروت — ط ١ — ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- ٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري — لابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي — ٨٥٢ هـ — ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي — إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب — دار المعرفة — بيروت .
- ٤٢- فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان — ١٣٠٧ هـ — أم القرى — القاهرة — بدون .

- ٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني :
محمد بن علي - ١٢٥٥ هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر -
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٤٤- في ظلال القرآن لسيد قطب - دار الشروق - القاهرة وبيروت - ط ٩
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٤٥- الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري :
أبي القاسم جار الله محمود بن عمر - ٥٣٨ هـ - دار المعرفة - بيروت .
- ٤٦- لباب التأويل في معاني التزويل للخازن : علي بن محمد البغدادي - ٧٢٥ هـ -
المطبوع مع تفسير البغوي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط ٢
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ هـ .
- ٤٧- لسان العرب لابن منظور : أبي الفضل محمد بن مكرم - ٧١١ هـ -
إعداد يوسف خياط - تقديم عبد الله العلايلي - دار لسان العرب -
بيروت .
- ٤٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي : نور الدين علي بن أبي بكر -
٨٠٧ هـ - دار الريان للتراث - القاهرة - ودار الكتاب العربي - بيروت
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤٩- المستدرک علی الصحیحین للحاکم : محمد بن عبد الله النيسابوري -
٤٠٥ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥٠- المسند للإمام أحمد : أحمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١ هـ - تحقيق أحمد
محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
أخرى : دار الفكر العربي - بيروت .
- ٥١- مشكل الآثار للطحاوي : لأبي جعفر أحمد بن محمد - ٣٢١ هـ - مطبعة
مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن - الهند - ط ١ -
١٣٣٣ هـ .

- ٥٢- معالم التزليل للبغوي : لأبي محمد الحسين بن مسعود الشافعي — ٥١٦ هـ —
 — تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار — دار المعرفة — بيروت —
 ط ١ — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م . أخرى : بتحقيق محمد عبد الله النمر
 وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش — دار طيبة — الرياض —
 المملكة العربية السعودية — ط ١ — ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
- ٥٣- معاني القرآن للأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة البلخي الجاشعي أبي
 الحسن — ٢١٥ هـ — بتحقيق د . عبد الأمير محمد أمين الورد — عالم
 الكتب — بيروت — ط ١ — ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- ٥٤- معاني القرآن للفراء : يحيى بن زياد أبي زكريا — ٢٠٧ هـ — عالم الكتب —
 بيروت — ط ٣ — ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- ٥٥- المعجم الكبير للطبراني : سليمان بن أحمد — ٣٦٠ هـ — تحقيق وتخراج
 حمدي عبد المجيد السلفي — ط ٢ .
- ٥٦- المعجم الوسيط: الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية
 الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد — المكتبة الإسلامية — إستانبول — تركيا .
- ٥٧- المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني : أبي القاسم الحسين بن محمد
 — ٥٠٢ هـ — تحقيق محمد سيد كيلاني — دار المعرفة — بيروت .
- ٥٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : أبي الحسن إبراهيم بن عمر
 — ٨٨٥ هـ — مصور عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — حيدر
 آباد الدكن — الهند — ط ١ — ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م — نشر مكتبة ابن
 تيمية — القاهرة — مصر .
- ٥٩- نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري : أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين —
 ٧٣٣ هـ — مطابع كوستاتسوماس — القاهرة مصورة عن طبعة دار الكتب
 — بدون .

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك
ابن محمد الجزري - ٦٠٦ هـ - بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد
الطناحي - المكتبة الإسلامية .